IUG Journal of Islamic Studies
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza
E-ISSN: 2410-5201
P-ISSN: 2410-8715
IUGJIS
Vol 0, No 0, 0000, pp 000 -000

Received on (09-08-2023) Accepted on (19-09-2023)

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.32.2/2024/4

The Prophetic Guidance in Nullifying Illusions and Reforming Thinking
A case study of the hadeeth "There is no infection, no hama, no star promising rain, and no serpent in a hungry belly."

Bashir Mahmoud Suleiman[*1], Prof. Dr. Hisham Mahmoud Zaqout[*2]
Al-Aqsa University - Gaza – Palestine[*1], Islamic University - Gaza - Palestine[*2]
[*]Corresponding Author: Basherso@hotmail.com

Abstract:
The Qur'an message is based on summoning minds to consider, remember, rationalize, know, and consider, this is to emphasize the importance of the evidential method in reaching the facts, and nullifying illusions and myths that are not evidenced but by
assumptions, moreover, surely assumptions can in no way replace the truth, and assumptions may not contest truths but in an ignorant environment. And based on that, the Prophet, Peace be Upon Him, nullified the illusions, no matter how strong people's adherence to them was, so he nullified a large number of illusions and misconceptions because they are not based on a reason that is subject to science. However, this research aims to shed light on those illusions that are nullified by the Prophet, Peace Be Upon Him, that are included in the tradition "There is no infection, no hama, no star promising rain, and no serpent in a hungry belly.". It aims, through an inductive study in the Sunnah, to mention the features of the Prophet's guidance in nullifying illusions and reforming thinking.

Keywords: illusions, thinking, star promising rain, hama, no serpent in a hungry belly, infection

الهدي النبوي في إبطال الأوهام وإصلاح التفكير
حديث " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر" نموذجًا

بشير محمود سليمان[1]، أ.د هشام محمود زقوت [2]
جامعة الأقصى- غزة- فلسطين [1]، الجامعة الإسلامية- غزة - فلسطين [2]

الملخص:
تقوم رسالة القرآن على استدعاء العقول للنظر والتذكر والتعقل والعلم والاعتبار، لتؤكد بذلك على أهمية المنهج البرهاني في الوصول إلى الحقائق، وإبطال الأوهام والخرافات التي لا يدل عليها إلا الظنون، والظن لا يغني من الحق شيئًا، ولا تكون الظنون بمنازلة الحقائق إلا في بيئة جاهلية، وتأسيسًا على ذلك كان النبي صلى الله يبطل الأوهام مهما كان تمسك الناس بها قويًا، فأبطل جملة كبيرة من الأوهام والتصورات الخاطئة لأنها لا تستند إلى سبب موضوع للعلم، وهذا البحث يهدف إلى تسليط الضوء على تلك الأوهام التي أبطلها النبي صلى الله عليه وسلم والتي تضمنها الحديث الذي رواه الشيخان" لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر" ويهدف من خلال دراسة استقرائية تحليلية في السُّنّة إلى ذكر معالم الهدي النبوي في إبطال الأوهام وإصلاح التفكير.

كلمات مفتاحية: أوهام، تفكير، طيرة، هامة، صفر، عدوى

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه، أما بعد:

إن أهم ما تمثله السُّنّة النبوية في دعوة الإسلام أنها تحقق رسالة القرآن الكريم وهدايته واقعًا في الحياة، فهي بذلك التفسير العملي للكتاب، والاستجابة الحقيقية لرسالاته وهداياته، وإن القرآن الكريم سمح يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ سجى سجحالإِسْرَاء : جمحسحج في الفكر والسلوك، في العلم والعمل، في التربية والتغيير، والخروج من ظلمات الجهل والضلال والأوهام إلى نور العلم والمعرفة والبرهان.

قال الطاهر ابن عاشور (ت 1393هـ): "والمقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها هي بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا ثمانية أمور؛ الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح؛ وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما"(1).

وقال أيضًا: وإصلاح التفكير من أهم ما قصدته الشريعة الإسلامية ... وبهذا نفهم وجه اهتمام القرآن باستدعاء العقول للنظر والتذكر والتعقل والعلم والاعتبار، وأن ذلك جرى على هذا المقصد، فأنبأنا عن استقراء اهتمامه والإفصاح عنه بكلام رسوله(2).

ولذلك نجد في كثير من الأحاديث ما يدل على هذا الاهتمام النبوي الكبير في إبطال ما كان في الجاهلية من أوهام وخرافات كان يعتقدها الناس بقوة، وكان لها تأثيرها الكبير في سلوكهم، وانحراف تفكيرهم، والأوهام شاملة لكل ما وجد من غير سبب موضوع للعلم، فهي ظنون وتوهمات جعلها الناس بسبب من الجاهلية بمنزلة الحقائق، فضد الأوهام هي الحقائق التي تحقق وجودها بدليل من الحس أو العقل أو الشرع، فهي الأسباب الموضوعة للعلم، "ودعاء الإسلام إلى الحقيقة ونبذ الأوهام كان في الاعتقادات، والعبادات، والمعاملات، والمعارف"(3)، فكانت بذلك سُنَّته –صلى الله عليه وسلم– تُؤسِّس لهدي قويم في التربية العقلية والفكرية، يكون فيه السلامة لهذه الأمة من الأوهام والتفكير الخرافي.

ومن أبرز الأحاديث التي تدل على ذلك؛ الحديث المتفق عليه" لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر"(4) فهو يشمل عددا من الأوهام التي كان يعتقدها الناس في الجاهلية، وتركت تأثيرا عميقًا في سلوكهم وحياتهم.

وما جاء في هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي فيها إبطال النبي –صلى الله عليه وسلم– ما علق في أذهان الناس من أوهام وخرافات لا تستند إلى برهان أو دليل من عقل أو حس أو شرع، وهو نوع من التربية العلمية العقلية التي كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يربي أصحابه عليها، ويقصد الباحث في هذا البحث إلى بيان الأوهام التي عالجها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث " لا طيرة ولا عدوى" بألفاظه المتعددة، كنموذج لهذا الهدي النبوي، وإظهار معالم الهدي النبوي في إصلاح التفكير وإبطال الأوهام، وسميته " **الهدي النبوي في إبطال الأوهام وإصلاح التفكير، حديث " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر" نموذجًا**"

أولًا – أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أمورٍ عدّةٍ، منها:

1– الأحاديث الواردة في إبطال الأوهام والخرافات، هي تطبيق عملي لمنهج القرآن الكريم، في التربية العلمية العقلية البرهانية، والبناء المعرفي، ومن الأهمية بمكان استخراج المنهج النبوي الذي تدل عليه الأحاديث في إصلاح التفكير وإبطال الأوهام والخرافات.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (1 / 39)
(2) ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص 48.
(3) المصدر السابق، ص 29.
(4) سيأتي تخريج الحديث برواياته المتعددة في صفحات هذا البحث.

2- يعدّ البحث معالجةً لموضوع له تأثير كبير في حياة الناس قديمًا وحديثًا، فالأوهام والخرافات تجد طريقها، ويسهل رواجها في حياة الناس، وتقع المعالجة هنا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الذي يأمرنا أن نتبين منهجه.

3- إبراز مكانة السنّة النبويّة ومنهجها كمصدر مهم في بناء المعرفة الإسلامية وحضارتها.

4- يبين البحث من خلال الوقوف على حديث " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر" خطورة الأوهام على حياة الناس الفكرية والحضارية، لشدة ارتباط الناس بها

5- يبين البحث أن خطوات إصلاح التفكير تتطلب إبطال الأوهام والخرافات التي تعيق التفكير وتجعل غشاوة على القلب تمنعه التدبر والتفكر والتعقل.

ثانيًا – أهداف الدراسة:

1- بيان الأوهام التي عالجها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر"

2- بيان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بإبطال الأوهام مهما كان تمسك الناس بها قويًا.

3- الوصول إلى جملة من معالم الهدي النبوي في بناء المعرفة وإصلاح التفكير وإبطال الأوهام والخرافات.

4- بيان أن السّنَّة النبوية تؤسس لمنهج الوقوف على أرضية معرفية صلبة متينة، لا تقبل شيئًا إلا ببرهان ساطع من وحي أو عقل أو حس.

5- حضّ المسلمين على تناول السنّة النبويّة بما يحقق رسالاتها ومقاصدها، ودورها المهم في تقويم الحضارة الإنسانية والإصلاح والتغيير.

6- التأكيد على أن تحرير العقل من سلطان الوهم وأسر الخرافة، ومن طريقة التفكير البدائية الخرافية، يُعدُّ من مقاصد الشرع في حفظ الدين والعقل.

ثالثًا- حدود الدراسة:

1- ستقتصر هذه الدراسة على الموضوعات التي يتناولها حديث " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر" حيث يتناوله الباحث برواياته وتعدد مخارجه، وما جاء في بعض تلك الأحاديث من زيادة "ولا نوء" "ولا غول"، وذكر الأحاديث التي في معناه.

2- اقتصرت من شروح العلماء على ما يخدم الفكرة -موضع البحث-.

3- اقتصرت في تخريج الحديث على ذكر أهم مصادر التخريج، بذكر رقم الحديث إذا كان في الكتب الستة، والجزء والصفحة إذا كان في غير الكتب الستة، وفي الحكم على الحديث إذا لم يكن في الصحيحين على نقل حُكم من حَكم على الحديث من أهل العلم السابقين، ويعتمده.

رابعا- منهج البحث:

1- اتّبعت المنهج الوصفي في معرفة روايات حديث " لا عدوى ولا طيرة" ومخارجه وألفاظه، والأحاديث التي لها صلة بموضوعاته، والوقوف على المعاني المقصودة من الحديث.

2- واتبعت المنهج الاستنباطي التحليلي لمعرفة ما تدل عليه الأحاديث الواردة في إبطال أوهام الجاهلية عامة وحديث " لا عدوى ولا طيرة" خاصة من معالم منهجية تبرز الهدي النبوي في إصلاح التفكير وإبطال الأوهام.

خامسًا- الدراسات السابقة:

وقف الباحث على عدد من الدراسات ذات الصلة بموضوع هذه الدراسة، ومن أهمها

1. الآليات المقاصدية لإصلاح العقل في السنة النبوية، د. سلاف لقيقط، ضمن مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 36، عدد 3، تاريخ النشر 2022/12/21.

2. أصول المنهج المعرفي في القرآن والسنة، محمد أمزيان، مجلة المسلم المعاصر، عدد 87، فبراير 1998م.

3. الوهم وأثره في السلوك الإنساني، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية، مجلد22، العدد4، 2014م.

4. أفعال ومعتقدات وخرافات تخالف العقيدة الإسلامية عرض ونقد، د. فائز محمد أبو النجا، مجلة دراسات، مجلد46، عدد4، سنة 2019م.

وهذا البحث يتميز أنه يفرد حديث "لا عدوى ولا طيرة" بالدراسة، من حيث روايات هذه الحديث الصحيحة ومخارجه، وما يشتمل عليه من موضوعات في باب إبطال الأوهام وإصلاح التفكير.

سادسًا- خطة البحث:

يشتمل البحث على: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، موزعة على النحو التالي:

المبحث التمهيدي: المقصود ب إبطال الأوهام، وإصلاح التفكير

المبحث الأول: أوهام أبطلها النبي صلى الله عليه وسلم، تضمنها حديث " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول".

المبحث الثاني: المنهج المعرفي الذي تؤسس له السُّنة النبوية.

المبحث التمهيدي: المقصود ب إبطال الأوهام، وإصلاح التفكير

أولا: إبطال الأوهام

يرجع معنى الوهم في اللغة إلى ما يقع في القلب من تَخيُّل وتصوّر لأمر خطر على القلب، ويستعمل غالبا مع الخطأ والغلط[5].

قال ابن سيده (ت 458هـ): الوَهْمُ: من خطرات القلب، والجمع أَوْهامٌ. وتَوَهَّمَ الشيء: تخيله وتمثله، كان في الوجود أو لم يكن، ووَهِمَ إليه يَهِمُ وَهْماً: ذهب وَهْمُه إليه[6].

وفي الفروق اللغوية يجعلون الوهم درجة من درجات المعرفة التي لم يتحقق ثبوتها ولم يجزم القلب بها، وهي أقل من الظن[7].

وفي اصطلاحات العلوم يعرِّفون الوهميات بأنها قضايا كاذبة يحكم بها الوهم في أمور غير محسوسة، يقولون في تعريفها: إنها كاذبة لأنها لم تثبت حقيقتها لعدم وجود أدلة تدل على صدقها مع إيمان المرء بها[8]، فالوهم؛ اعتقاد خاطئ يؤمن به المرء بقوة بالرغم من عدم وجود أدلة عليه[9].

وذلك يوصلنا إلى ما نقصد إليه في هذا البحث أن الأوهام تطلق على كل ما وجد من غير سبب موضوع للعلم، فهي ظنون وتوهمات جعلها الناس بسبب من الجاهلية بمنزلة الحقائق، فضد الأوهام هي الحقائق التي تحقق وجودها بدليل من الحس أو العقل أو الشرع، فهي الأسباب الموضوعة للعلم، وقد جاء الإسلام بالدعاء إلى الحقيقة وإبطال الأوهام[10].

ثانيًا: إصلاح التفكير

يرجع معنى التفكير إلى النظر وإعمال الخاطر، وما يقع بخلد الإنسان وقلبه من معاني[11]، والتَّفَكُّرُ؛ اسم للتَّفكير[12].

---

[5] مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، (6 / 149).

[6] المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: عبد الستار فراج، (4 / 321).

[7] ينظر: الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ص 943.

[8] ينظر: التعريفات، للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ص 330، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، تحقيق محمد رضوان الدية، ص 735، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، للطاهر ابن عاشور، ص 25- 37، بتصرف.

[9] معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر وفريقه، (4/ 2502).

[10] ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، للطاهر ابن عاشور، ص 29.

[11] ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، (7 / 7) وجمهرة اللغة، لابن دريد (1 / 435).

[12] ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون (203/10).

قال الراغب (ت 502هـ): الفكرة: قوة مُطرقةٌ للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل... ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، ورجل فكّير: كثير الفكرة في الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها[13].

وقوة التفكر من القوى التي ركبها الخالق في الإنسان، وهي الملكة التي يكون بها النطق والعقل والحكمة والروية والتدبير والمهنة والرأي والمشورة[14].

قال الغزالي: ومهما هُذّبت قوة الفكر وأُصلحت كما ينبغي، حصلت بها الحكمة، التي أخبر الله عنها حيث قال: سمحوَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاسجى سجحالبَقَرَةِ : جمحتمحتحجسحج وثمرتها أن يتيسر له الفرق بين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، ولا يلتبس عليه شيء من ذلك[15].

وإصلاح التفكير باستدعاء العقول للنظر والتذكر والتعقل الموصل إلى العلم والحق، وتلافي دخول الخلل الذي يجعل صاحبه يُنزل الخيالات والظنون بمنزلة الحقائق واليقين. "فإذا لم تكن النفس قد ارتاضت بالعلوم الحقيقة البرهانية، اكتسبت بالخاطر خيالات تظنها حقائق تنزل عليها"[16].

المبحث الأول: أوهام أبطلها النبي صلى الله عليه وسلم، تضمنها حديث " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول"

المطلب الأول: إبطال تصورهم القديم عن العدوى

– عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ"، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ". وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ بَعْدُ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ" وَأَنْكَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ، قُلْنَا: أَلَمْ تُحَدِّثْ أَنَّهُ لَا عَدْوَى، فَرَطَنَ بِالْحَبَشِيَّةِ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَمَا رَأَيْنَاهُ نَسِيَ حَدِيثًا غَيْرَهُ(17).

قال ابن الأثير (ت 606هـ): "العدوى اسم من الإعداء.. يقال أعداه الداء يعديه إعداء؛ وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء، وذلك أن يكون ببعير جرب مثلًا فتُتَّقى مخالطته بإبل أخرى حذارًا أن يتعدَّى ما به من الجرب إليها فيصيبها ما أصابه، وقد أبطله الإسلام لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدَّى، فأعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه ليس الأمر كذلك، وإنما الله هو الذي يمرض وينزل الداء، ولهذا قال في بعض الأحاديث: "فمن أعدى البعير الأول" أي من أين صار فيه الجرب"[18].

وقد تعارضت أحاديث هذا الباب، واضطرب العلماء فيما ذكر عن أبي هريرة من تعارض فيما رواه، وتعددت مسالكهم في التعامل مع أحاديث الباب، ويمكن الرجوع إلى اختلاف مسالكهم في مظانها، وأقوى ما ذكر في ذلك هو قول الجمهور.

قال النووي (ت 676هـ): "قال جمهور العلماء يجب الجمع بين هذين الحديثين وهما صحيحان، قالوا: وطريق الجمع؛ أن حديث لا عدوى المراد به نفى ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده أن المرض والعاهة تعدى بطبعها لا بفعل الله تعالى، وأما حديث لا يورد ممرض على مصح فأرشد فيه إلى مجانبة ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره، فنفى في الحديث الأول العدوى بطبعها، ولم ينف حصول الضرر عند ذلك بقدر الله تعالى وفعله، وأرشد في الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنده

---

[13] يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن، الرغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي ص634.

[14] يُنظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، الرغب الأصفهاني، ص21.

[15] ميزان العمل، للغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، ص 233.

[16] ينظر: ميزان العمل، للغزالي، ص 224.

[17] البخاري في صحيحه رقم الحديث(5770)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث(2221)

[18] ابن الأثير، النهاية (3 / 192)

الضرر بفعل الله وإرادته وقدره، فهذا الذى ذكرناه من تصحيح الحديثين والجمع بينهما هو الصواب الذى عليه جمهور العلماء، ويتعين المصير إليه ولا يؤثر نسيان أبى هريرة لحديث "لا عدوى" لوجهين؛ أحدهما: أن نسيان الراوي للحديث الذى رواه لا يقدح في صحته عند جماهير العلماء، بل يجب العمل به. والثاني: أن هذا اللفظ ثابت من رواية غير أبى هريرة، فقد ذكر مسلم هذا من رواية السائب بن يزيد وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وبن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم"[19].

قال أبو العباس القرطبي (ت 656): وقد جمع أبو هريرة رضى الله عنه في هذه الرواية بين قوله: "لا عدوى" وبين قوله: "لا يورد ممرض على مصح" وهو جمعٌ صحيح لا بُعد فيه؛ إذ كلاهما خبر عن المشروعية، لا خبر عن الوجود، فقوله: "لا عدوى"؛ أي: لا يجوز اعتقادها. وقوله: "لا يورد ممرض على مصحٍّ"؛ أي: لا يفعل ذلك. فهما خبران يتضمنان النهي عن ذلك، وإنَّما نهى عن إيراد الممرض على المصح مخافة الوقوع فيما وقع فيه أهل الجاهلية من اعتقاد ذلك، أو مخافة تشويش النفوس، وتأثير الأوهام، وهذا كنحو أمره بالفرار من المجذوم، فإنه وإن كنا نعتقد أن الجذام لا يعدي، فإنا نجد من أنفسنا نفرة، وكراهية لذلك، حتى إذا أكره الإنسان نفسه على القرب منه وعلى مجالسته تألَّمت نفسه، وربما تأذت بذلك، ومرضت، فيحتاج الإنسان في هذا إلى مجاهدة شديدة، ومكابدة. ومع ذلك فالطبع أغلب، وإذا كان الأمر بهذه المثابة؛ فالأولى بالإنسان ألا يقرب شيئًا يحتاج الإنسان فيه إلى هذه المكابدة، وألا يتعرض فيه إلى هذا الخطر. والمتعرض لهذا الألم زاعمًا أنه يجاهد نفسه حتى يزيل عنها تلك الكراهة، هو بمنزلة من أدخل على نفسه مرضًا إرادة علاجه حتى يزيله. ولا شك في نقص عقل من كان على هذا، وإنما الذي يليق بالعقلاء ويناسب تصرُّف الفضلاء أن يباعد أسباب الآلام، ويجانب طرق الأوهام، ويجتهد في مجانبة ذلك بكل ممكن مع علمه بأنه لا ينجي حذر عن قدر، وبمجموع الأمرين وردت الشرائع، وتوافقت على ذلك العقول والطبائع"[20].

فقول الجمهور يقتضي عدم القول بالنسخ أو الترجيح مع إمكان الجمع، وتوجيه كل حديث بما لا يتعارض مع الحديث الآخر، وكان بينًا عند العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم نفى العدوى نفيًا خبريًا حسب تصورهم لها في ذلك الوقت، وجاء عنه ما يدل على إمكان وقوعها، بل إن حديث " لا عدوى" جاء في سياقه أنه أشكل على الصحابة، لأنه يتعارض في ظاهره مع الواقع وتجربتهم في الحياة، فكان تفسير النبي صلى الله لقوله "لا عدوى" هو بما قال للأعرابي " فمن أعدى الأول".

فهو يريد أن ينفي تصورهم السطحي للعدوى، وما قد يترتب عليه من شيء من الخرافة، فيتصورون العدوى؛ أن المرض يسري بالمخالطة من المريض إلى الصحيح، حتى اعتبروا عدم انتقال المرض بالمخالطة أن في ذلك كرامة وخرق للعادة، وهذا يشبه ما تصوروه عن الكاهن، عندما يتكلم بالكلمة فتكون حقًا، ثم يتصور الناس في البيئة الجاهلية أنه مصدق في كل ما يدعيه من غيوب، وكذلك العدوى عندما تقع أحيانًا، يتصورون أنها تقع دائمًا.

ومن المعروف أن جسم الإنسان يعيش في محيط ملئ بالجراثيم التي تسبب الأمراض المعدية ولا تنفك عن حياته، فهي في طعامه وشرابه والهواء الذي يتنفسه، والذي يحفظ جسم الإنسان ويمنع العدوى أن تصيبه بالمرض؛ ما في الجسم من مقدرة على مقاومة تلك الجراثيم والقضاء عليها وطردها، ورأس ذلك هو جهاز المناعة في الإنسان، فهو الجهاز المسؤول عن حماية الجسم من العدوى والمواد التي قد تضر الجسم عن طريق التعرف على المستضدات(21) الغريبة والاستجابة لها.

وفي علم الطب يفرقون بين العدوى والمرض، فيرون أن العدوى تحدث عندما تدخل البكتيريا أو الفيروسات أو الميكروبات الأخرى المسببة للمرض إلى الجسم وتبدأ بالتكاثر، وتعد غالبًا الخطوة الأولى لحدوث المرض، ثم يحدث المرض عندما تتلف خلايا بالجسم نتيجة للعدوى، وتظهر مؤشرات المرض وأعراضه، فيكون المرض هو النتيجة النهائية للعدوى.

---

[19] النووي، المنهاج شرح النووي على مسلم (14 / 213)

[20] أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (624/5)

[21] المُسْتَضَدّ أو مولد الضد أو مولد المضاد، مادة تثير الاستجابة المناعية. قد يكون جرثوم أو فيروس دخل الجسم؛ فيبدأ الجسم في «توليد» جسيمات ومواد خاصة مضادة له للقضاء عليه بغرض حماية الجسم.
ينظر: مولد الضد https://ar.wikipedia.org/wiki/

ويتفاعل الجهاز المناعي استجابةً للعدوى، وهو جيش من خلايا الدم البيضاء والأجسام المضادة وآليات أخرى تعمل على تخليص الجسم من أي شيء تسببه العدوى[22].

فيمكن أن يقال في توجيه الحديث: إن الأصل أنه لا عدوى، لأن جسم الإنسان فيه من المناعة الفطرية ما يجعله يتغلب على ما يسبب أصل المرض من الجراثيم المعدية، فتعمل كرات الدم البيضاء على التخلص من الميكروب (الجرثوم) الغريب المتسلل، مع تكوين مناعة إضافية ضده، فإذا ظهر المرض فهذا يدل على ضعف في مناعة الجسم وخلل في قدرته على التغلب على المرض[23].

فمن الممكن أن تحدث المخالطة لشخص مريض، وتنتقل العدوى[24]، ويحملها المخالط، ثم لا يظهر المرض ولا تظهر أعراضه، بل قد يحدث ضد ذلك، عندما يكتسب الجسم مناعة إضافية ضد هذه العدوى، فكأن العدوى أصبحت بذلك دواء لا داء، فتظهر فائدة أن الإنسان قد يحمل العدوى ولا تظهر أعراض المرض عليه. فالعدوى الطبية بذلك أصبحت لا عدوى على عرف العرب.

ويحدث المرض من الأمراض المعدية، نتيجة تحور حدث في (جرثوم) من الجراثيم التي تعيش مع الإنسان، ويكون هذا المتحور غريب عن جسم الإنسان، ولا يوجد في الجسم مضاد له، فعندما ينتقل إلى جسم الإنسان، يتفاعل الجهاز المناعي؛ استجابة لذلك، ومع سرعة انتقال الجرثوم (العدوى) يكون قد أصاب عددا من الناس في ذلك الموضع، وربما يصيب أهل ذلك الموضع كله، ثم تتفاوت أجساد الناس في مقاومة ذلك المتحور، وفي ظهور أعراض المرض عليهم، فحين يظهر المرض في واحد منهم لا يعني بالضرورة أنه هو أول من أصابه ذلك المتحور، ثم انتقلت العدوى منه إلى غيره، فقد يكون غيره مصاب قبله بالعدوى لكن لم يظهر عليه المرض، وعلى ذلك يصعب معرفة أول إنسان بدأ منه المرض، وهنا يظهر شيء من الحكمة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: " فمن أعدى الأول"، فما حدث من تحور على جرثوم عندما بدأ المرض حدث بتقدير الله، ولا تتفاوت الأجسام في مقدرتها على مقاومة العدى إلا بتقدير الله. والله أعلم.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي: "فمن أعدى الأول" فيه دليل على جواز مشافهة من وقعت له شبهة في اعتقاده بذكر البرهان العقلي؛ إذا كان السائل أهلاً لفهمه، فأمَّا أهل القصور؛ فيخاطبون بما تحتمله عقولهم من الأمور الإقناعيات[25].

وفي الحديث دليل على شدة ما يقع للحس من وَهْمٍ قد يظنه صاحبه حقًا، وعدم الانكار على من يستشكل شيئًا جاء في خبر صادق، وأهمية الاجتهاد في بيان المُشكل في تثبيت الحق، وأهمية الاحتكام إلى البرهان العقلي.

المطلب الثاني: إبطال الطيرة

الطيرة من سُنّة الجاهلية وعادتها التي نسختها السُّنّة النبوية وأبطلتها، لأنها من مفسدات الفطرة البشرية، وتلقي على القلب غشاوة، وتبعده عن طريق الهداية، وما هي إلا أوهام لا حقيقة معها. وقد جاء إبطالها في أحاديث كثيرة[26].

أولًا- تعريف الطيرة، واشتهار العرب بها:

اتفق العلماء على أن اشتقاق كلمة الطِيَرَة وهي مصدر اطّيَّرت و تطيرت؛ من الطَّير، كالغراب وما أشبهه، وأن معناها يرجع إلى الحظ والبخت بالتَّشاؤُم أو التّسَعُّد[27].

---

[22] فريق مايو كلينك على الانترنت، الجراثيم؛ تعرف على البكتيريا والفيروسات والعدوى.
https://www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/infectious-diseases/in-depth/germs/art-20045289

[23] استفدت ذلك من صديقنا الطبيب الدكتور راشد الربيعي العماني، حفظه الله.

[24] والعدوى هنا تختلف عن المعنى المقصود عند العرب، فالعرب كانوا يقصدون بها؛ انتقال المرض وظهوره على المخالط، ولكن العدوى هنا بمعنى انتقال الجرثوم المسبب للمرض، ويكون الغالب هو عدم ظهور المرض، لتغلب الجسم على ذلك الجرثوم.

[25] أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (622/5)

[26] إسماعيل حقي الإسلامبولي، روح البيان (6 / 355)

[27] ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (3 / 436)

"وأصله فيما يقال التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر، وقد تكرر ذكرها في الحديث اسما وفعلا"[28].

قال الجاحظ (ت 255هـ) في كتابه الحيوان، في فصل الحديث عن الغراب، قال: "وأصل التطيُّر إنما كان من الطّير، ومن جهة الطير إذا مرَّ بارحاً أوْ سانحاً، أو رآه يتفلى وينتَتِف، حتى صاروا إذا عاينوا الأعورَ من النّاس أو البهائم أو الأعضب أو الأبتر زجروا عند ذلك وتطيَّروا عندها، كما تطيَّروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال، فكان زجر الطّير هو الأصل، ومنه اشتقوا التطيّر ثمَّ استعملوا ذلك في كلِّ شيء". وقال: "فالغراب أكثر من جميع ما يُتطيَّرُ به في باب الشؤم، ألا تراهم كلما ذكروا ممَّا يتطيرون منه شيئاً ذكروا الغراب معه، وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره، ثم إذا ذكروا كلّ واحدٍ من هذا الباب لا يمكنهم أنْ يتطيروا منه إلاّ من وجهٍ واحد، والغراب كثير المعاني في هذا الباب فهو المقدَّم في الشؤم"[29].

ذكر القلقشندي (ت 821هـ) في ذكر أوابد العرب، قال: وهي أمور كانت العرب عليها في الجاهلية بعضها يجري مجرى الديانات وبعضها يجري مجرى الاصطلاحات والعادات، وبعضها يجري مجرى الخرافات، وجاء الإسلام بإبطالها، وهي عدة أمور: منها الكهانة .. إلى أن قال: ومنها الزجر والطِّيرة، وهما في معنى واحد، وأصله أنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير، فإن طار يمينا كان له حكم، وإن طار شمالًا كان له حكم، وإن طار أمامًا كان له حكم، وإن طار من فوق رأسه كان له حكم، ومن ثم سميت الطيرة أخذا من اسم الطير، وأكثر ما عولوا عليه من ذلك الغراب ثم تعدَّوه إلى غير الطير من الحيوان، ثم جاوزا ذلك إلى ما يحدث في الجمادات من كسر أو صدع أو نحو ذلك، وربما انتهى بعض الزجر إلى حد الكهانة.

وقد وردت السنة بإبطال حكم الزجر والطيرة... ومنها الأزلام، وهي ضرب من الطيرة [30].

وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير، ويتمدح بتركه[31].

قال أبو العلاء المعري (ت 449هـ): "كانت العقلاء من العرب في الجاهلية تعيب الطيرة وأهلها"[32].

قال ابن القيم (ت 751هـ): "ومنهم من أنكرها بعقله وأبطل تأثيرها بنظره، وذم من اغتر بها واعتمد عليها، وتوهم تأثيرها"[33].

ثانيًا. مما جاء في إبطال الطيرة:

– عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ"[34].

– عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ، قَالَ: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ"[35].

قال الأزهري (ت370هـ): "وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير، وأصل التفاؤل الكلمة الحسنة يسمعها عليل فتوهمه بسلامته من علته، وكذلك المضلُّ يسمع رجلا يقول يا واجد فيجد ضالَّته، والطِّيرة مُضادة للفأل، على ما جاء في الخبر، وكانت العرب مذهبها في الفال والطِّيرة واحد، فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم الفأل واستحسنه، وأبطل الطِّيرة ونهى عنها"[36].

---

[28] ابن الأثير، النهاية (3 / 152)

[29] الجاحظ، الحيوان (3 / 438)

[30] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا (1 / 455) بتصرف.

[31] ابن حجر، فتح الباري (10/ 213)

[32] أبو العلاء المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص 272.

[33] ابن القيم، مفتاح دار السعادة (3/ 1471)

[34] البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الفأل، رقم الحديث (5756) ومسلم في صحيحه حديث رقم (2224)

[35] البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الطيرة، رقم الحديث(5754) ومسلم في صحيحه، حديث رقم (2223)

[36] الأزهري، تهذيب اللغة (14 / 13)

قال الماوردي (ت 450هـ): "اعلم أنه ليس شيء أضر بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيب غراب يرد قضاء ويدفع مقدوراً فقد جهل... وقيل في منثور الحكم: الخيرة في ترك الطيرة"[37].

جاء في تفسير المنار عند ذكر تحريم الاستقسام بالأزلام: "إِنَّ هَذَا قَدْ حُرِّمَ لِأَنَّهُ مِنَ الْخُرَافَاتِ وَالْأَوْهَامِ الَّتِي لَا يَرْكَنُ إِلَيْهَا إِلَّا مَنْ كَانَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ، يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا بَصِيرَةٍ، وَيَتْرُكُ مَا يَتْرُكُ عَنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا بَصِيرَةٍ، وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ أُلْعُوبَةً لِلْكَهَنَةِ وَالسَّدَنَةِ، وَيَتَفَاءَلُ وَيَتَشَاءَمُ بِمَا لَا فَأْلَ فِيهِ وَلَا شُؤْمَ، فَلَا غَرْوَ أَنْ يُبْطِلَ ذَلِكَ دِينُ الْعَقْلِ وَالْبَصِيرَةِ وَالْبُرْهَانِ، كَمَا أَبْطَلَ التَّطَيُّرَ وَالْكِهَانَةَ وَالْعِيَافَةَ وَالْعِرَافَةَ وَسَائِرَ خُرَافَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَا يَلِيقُ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَّا بِجَهْلِ الْوَثَنِيَّةِ وَأَوْهَامِهَا[38].

فالطيرة والتشاؤم، مأخوذ من عادة الأقوام الجاهلة التي تجري وراء الخرافات والأوهام وعميت عن إدراك سنن الله، فأبطل الإسلام هذا التفكير الخرافي؛ وما تدري الطير الغيب، وما تنبئ حركاتها التلقائية عن شيء من المجهول، ولكن النفس البشرية لا تستطيع أن تعيش بلا مجهول مغيب تكل إليه ما لا تعرفه، وما لا تقدر عليه، فإذا لم تكل المجهول المغيب إلى الإيمان بعلام الغيوب وكلته إلى مثل هذه الأوهام والخرافات التي لا تقف عند حد، ولا تخضع لعقل، ولا تنتهي إلى اطمئنان ويقين[39].

قال الجاحظ (ت 255هـ): "وقد اعترض قومٌ علينا في الحديث الذي جاء في تفرقة ما بين الطيرة والفأل، وزعموا أنّه ليس لقوله: كان يعجبه الفألُ الحسن، ويكره الطيرة؛ معنى وقالوا: إن كان ليس لقول القائل: يا هالك وأنت باغٍ وجهٌ ولا تحقيق، فكذلك إذا قال: يا واجد ليس له تحقيق، وليس قوله يا مضلُّ ويا مهلك أحقَّ بأن يكون لا يوجبُ ضلالاً ولا هلاكاً من قوله يا واجد ويا ظافر من ألاّ يكون يوجب ظفراً ولا وجوداً، فإمّا أنّ يكونا جميعاً يوجبان وإما أن يكونا جميعاً لا يوجبان؟ قيل لهم: ليس التأويل ما إليه ذهبتم، لو أن النّاس أمَّلوا فائدة اللّه عزَّ وجلَّ ورجوا عائِدته عند كلِّ سبب ضعيف وقويّ لكانوا على خير، ولو غلطوا في جهة الرّجاء لكان لهم بنفس ذلك الرّجاء خير، ولو أنهم بدل ذلك قطعوا أملهم ورجاءهم من اللّه تعالى لكان ذلك من الشرّ، والفأل أن يسمع كلمةً في نفسها مستحسنة ثمَّ إن أحبَّ بعد ذلك أو عند ذلك أنّ يحدث طمعاً فيما عند اللّه تعالى كان نفس الطمع خلاف اليأس، وإنما خبَّر أنّه كان يعجبه، وهذا إخبارٌ عن الفطرة كيف هي، وعن الطبيعة إلى أيّ شيء تتقلب. وقد قيل لبعض الفقهاء: ما الفأل قال: أن تسمع وأنت مُضِلٌّ يا واجد، وأنت خائف يا سالم، ولم يقل إنَّ الفأل يوجب لنفسه السلامة، ولكنّهم يحبُّون له إخراج اليأس وسوء الظن وتوقُّعِ البلاء من قلبه على كل حال، وحال الطيرة حال من تلك الحالات ويحبون أن يكون لله راجياً وأن يكون حسن الظن، فإن ظنَّ أن ذلك المرجوَّ يُوافقُ بتلك الكلمة ففرح بذلك فلا بأس"[40].

– عن معاوية بن الحكم السلَمي، قال: صلَّيتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعطس رجل من القوم فقلتُ: يرحَمُك الله، فرماني القومُ بأبصارهم، فقلتُ: واثُكْلَ أُمِّياه! ما شأنُكم تنظرون إليَّ؟! قال: فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فعرفتُ أنهم يُصَمِّتوني. قال عثمان: فلما رأيتُهم يُسكتوني، لكني سكت، فلما صلَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأبي وأمي، ما ضربني ولا كَهَرني ولا سبَّني، ثم قال: "إن هذه الصلاة لا يحلُّ فيها شيءٌ من كلام الناس هذا، إنما هو التسبيحُ والتكبيرُ وقراءةُ القرآن" أو كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. قلتُ: يا رسولَ الله، إنا قومٌ حديثُ عهدٍ بجاهليةٍ، وقد جاءنا اللهُ بالإسلام، ومنَّا رجالٌ يأتون الكُهَّانَ، قال: "فلا تأتِهم" قال: قلتُ: ومنَّا رجال يتطيرون، قال: "ذاك شيءٌ يجدونه في صُدورهم فلا يَصُدّهم" قلتُ: ومنَّا رجالٌ يخُطُّون، قال: "كان نبيٌّ من الأنبياء يَخُطُّ، فمَن وافَقَ خطَّه فذاك". قال: قلتُ: جاريةٌ لي كانت ترعى غُنيماتٍ قِبَلَ أُحُدٍ والجَوَّانيَّة إذ اطَّلَعتُ عليها اطلاعةً فإذا الذئبُ قد ذهب بشاةٍ منها، وأنا من بني آدم آسَفُ كما يأسَفون، لكني صككتُها

---

[37] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص187.

[38] محمد رشيد رضا، تفسير المنار (6 / 124).

[39] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (5 / 2645) و(3/ 1358).

[40] الجاحظ، الحيوان (3 / 460) وابن الأثير، النهاية (3/ 405).

صَكَّةَ، فعظَّمَ ذاك على رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –، فقلتُ: أفلا أُعتِقُها؟ قال: "ائتِني بها" فجئتُه بها، فقال: "أين الله؟ " قالت: في السماء، قال: "مَن أنا؟ " قالت: أنتَ رسولُ الله، قال: "أعتِقْها، فإنها مُؤمنةٌ"[41].

قال الإمام الخطابي (ت388هـ): "وقوله في الطيرة "ذلك شيء في نفوسهم فلا يضرهم" يريد أن ذلك شيء يوجد في النفوس البشرية وما يعتري الإنسان من قبل الظنون والأوهام، من غير أن يكون له تأثير من جهة الطباع، أو يكون فيه ضرر كما كان يزعمه أهل الجاهلية"[42].

قال القاضي عياض (ت 544هـ): "ومعنى قوله – لما قال: ومنا رجال يتطيرون–: "ذلك شيء يجدونه في صدورهم": أي يجدون ذلك ضرورةً فلا ملام عليهم، ولكن إنما يكون اللوم على توقفكم عن إمضاء حوائجكم لأجل ذلك، وهو المكتسب، فنهاهم أن يصدهم ذلك عما أرادوا فعله"[43].

قال النووي (ت 676هـ): "فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن العمل بالطيرة والامتناع من تصرفاتهم بسببها، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة في النهي عن التطير والطيرة، وهي محمولة على العمل بها لا على ما يوجد في النفس من غير عمل على مقتضاه عندهم"[44].

ثالثًا– بدائل الطيرة؛ الاستخارة والتوكل:

– عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ إِذَا هَمَّ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ[45].

قال الشاه ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ): "وكان أهل الجاهلية إذا عنت لهم حاجة من سفر أو نكاح أو بيع استقسموا بالأزلام، فنهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم لأنه غير معتمد على أصل، وإنما هو محض اتفاق، ولأنه افتراء على الله بقولهم: أمرني ربي، ونهاني ربي، فعوضهم من ذلك الاستخارة؛ فإن الإنسان إذا استمطر العلم من ربه، وطلب منه كشف مرضاة الله في ذلك الأمر، ولجَّ قلبه بالوقوف على بابه، لم يتراخ من ذلك فيضان سر إلهي، وأيضا فمن أعظم فوائدها أن يفنى الإنسان عن مراد نفسه وتنقاد بهيميته لملكيته، ويسلم وجهه لله، فإذا فعل ذلك صار بمنزلة الملائكة في انتظارهم لإلهام الله، فإذا ألهموا سعوا في الأمر بداعية إلهية لا داعية نفسانية. وعندي أن إكثار الاستخارة في الأمور ترياق مجرب لتحصيل شبه الملائكة"[46].

والحديث يدل على الاهتمام الكبير من النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم أصحابه الاستخارة، وفي هذا الباب يظهر وجه ذلك، وذلك أنهم كانوا قبل إبطال الطيرة والاستقسام بالأزلام، يجعلون الاعتماد عليهما في إمضاء أمورهم ومقاصدهم، ولا يكاد أحد إلا يستعملها ويؤمن بها، وهي من أشنع سنن الجاهلية التي تفتقد لمنطق العقل والبرهان، فكان في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الاستخارة ما يشفي صدورهم ويغنيهم عن الطيرة والاستقسام بالأزلام.

---

[41] مسلم في صحيحه رقم الحديث (537)، وأبو داود في سننه رقم الحديث (930)، والنسائي في سننه (1217)

[42] الخطابي، معالم السنن (1 / 222)

[43] القاضي عياض، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (2 / 463)

[44] النووي، المنهاج على صحيح مسلم بن الحجاج، (5 / 23)

[45] البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة رقم الحديث (6382).

[46] الدهلوي، حجة الله البالغة (2/ 30).

– عن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – قال: "الطِّيَرَةُ شِرْك، الطِّيرة شركٌ، الطيرة شِرْكٌ – ثلاثاً– وما منا إلا، ولكن اللهُ يُذْهبه بالتوكل" [47].

قَالَ الْإِمَامُ البيهقي (ت 458هـ): "يُرِيدُ – وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ – الطِّيَرَةُ شِرْكٌ عَلَى مَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْتَقِدُونَ فِيهَا ثُمَّ قَالَ: "وَمَا مِنَّا إِلَّا" يُقَالُ: هَذَا مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَلَيْسَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ: "وَمَا مِنَّا إِلَّا" وَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ، وَقَضَتْ بِهِ التَّجَارِبُ، لَكِنَّهُ لَا يُقِرُّ فِيهِ، بَلْ يحْسِنُ اعْتِقَادَهُ أَنْ لَا مُدَبِّرَ سِوَى اللهِ تَعَالَى، فَيَسْأَلُ اللهَ الْخَيْرَ وَيَسْتَعِيذُ بِهِ مِنَ الشَّرِّ وَيَمْضِي عَلَى وَجْهِهِ مُتَوَكِّلًا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"[48].

قال ابن الأثير (ت 606هـ): "الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل" هكذا جاء في الحديث مقطوعًا ولم يذكر المستثنى، أي إلا وقد يعتريه التطير وتسبق إلى قلبه الكراهة، فحُذف اختصارًا واعتمادًا على فهم السامع، وقيل: إن قوله "وما منا إلا" من قول ابن مسعود أدرجه في الحديث، وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعًا أو يدفع عنهم ضرًا إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوه مع الله في ذلك. وقوله "ولكن الله يذهبه بالتوكل" معناه أنه إذا خطر له عارض التطير فتوكل على الله وسلم إليه ولم يعمل بذلك الخاطر غفره الله له ولم يؤاخذه به[49].

– عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ[50].

قال القاضي عياض (ت 544هـ): "ذهب بعضهم إلى أن تخصيص الرقى والكي ها هنا من بين سائر أنواع علاج الطب لمعنى، وأن الطب غير قادح في التوكل، إذ تَطبَّبَ النبي صلى الله عليه وسلم وتَطبَّبَ عِلْيَةُ الفُضَلاَء، إذ كل سبب مقطوع به كالأكل للغذاء والشرب للرِيّ لا يقدَحُ في التوكل، وكذلك المظنون كالطب للبرء، ولُبس الدرع للتَحصُن من العَدو غيرُ قادح في التوكل، وباب الرُقى والطيرةِ والكي بابُ مَوْهومٌ، والموهومُ قادحٌ في التوكل عند المتكلمين في هذا الباب؛ فلهذا لم ينف عنهم التطبُّب"[51].

جاء في تفسير المنار في سياق الحديث عمّا ورد في مقام التوكل، قال: "وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ فَأَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي التَّوَكُّلِ مِنْهَا حَدِيثُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .. وَأَنْتَ تَرَى أَنَّهُ قَرَنَ التَّوَكُّلَ بِتَرْكِ الْأَعْمَالِ الْوَهْمِيَّةِ دُونَ غَيْرِهَا، فَهُوَ لَمْ يَنْفِ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا الِاسْتِشْفَاءَ بِالرُّقْيَةِ، وَهِيَ لَيْسَتْ مِنَ الْأَسْبَابِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلشِّفَاءِ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُهَا طُلَّابُهَا عِنْدَ الْجَهْلِ بِالْأَسْبَابِ وَالْعَجْزِ عَنْهَا عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْمُؤَيِّرَاتِ الْغَيْبِيَّةِ، وَإِنَّمَا الْمَطْلُوبُ شَرْعًا وَطَبْعًا وَنَقْلًا وَعَقْلًا أَنْ يُطْلَبَ الشَّيْءُ مِنْ سَبَبِهِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يَسْتَوِي فِيهِ كُلُّ مَنْ تَعَاطَاهُ، وَإِلَّا التَّطَيُّرُ وَهُوَ التَّيَمُّنُ وَالتَّشَاؤُمُ بِحَرَكَاتِ الطَّيْرِ، وَنَحْوِهِ الِاعْتِيَافُ وَهُوَ: التَّفَاؤُلُ وَالتَّشَاؤُمُ بِالْأَلْفَاظِ .. وَالطِّيَرَةُ وَالْعِيَافَةُ مِنْ سُنَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي نَسَخَتْهَا السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ، لِأَنَّهَا مِنْ مُفْسِدَاتِ الْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ الرُّقْيَةُ كَانَتْ مَعْرُوفَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَانَ أُنَاسٌ مَعْرُوفُونَ يَرْقُونَ اللَّدِيغَ، وَإِلَّا الْكَيُّ بِالنَّارِ وَهُوَ مِمَّا كَانُوا يَتَدَاوَوْنَ بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُهُ لِأُمَّتِهِ وَيَعُدُّهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الضَّعِيفَةِ الْمُؤْلِمَةِ الْمُسْتَبْشَعَةِ الَّتِي تُنَافِي التَّوَكُّلَ"[52].

رابعًا– سد الوسائل المفضية إلى الطيرة:

---

[47] أحمد في مسنده (1/ 389)، وأبو داود في سننه رقم الحديث (3915) والترمذي في جامعه رقم الحديث (1614)، وابن ماجه (3538) وابن حبان في صحيحه (491/13).
قال الترمذي: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، سَمِعْت مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَعِيلَ يَقُولُ: كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ يَقُولُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: "وَمَا مِنَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ" قَالَ سُلَيْمَانُ: هَذَا عِنْدِي قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَمَا مِنَّا.
[48] البيهقي، شعب الإيمان (2 / 397)
[49] ابن الأثير، النهاية (3 / 152)
[50] البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب [ومن يتوكل على الله فهو حسبه]، رقم الحديث 6427، ومسلم حديث رقم (220)
[51] القاضي عياض، إكمال المعلم (602/1)
[52] محمد رشيد رضا، تفسير المنار (4 / 171)

"فلَمَّا نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطِّيَرَةِ، نَهَى النَّاسَ عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَكُونُ عَنْهَا الطِّيَرَةُ"[53].

– عن أم كرز رضي الله عنها قالت: سمعتُ النبي صلَّى الله عليه وسلم يقول: "أقِرُّوا الطيرَ على مَكِناتِها". قالت وسمعتُه يقولُ: "عن الغلامِ شاتانِ، وعن الجاريةِ شاةٌ، لا يضرُّكم أذُكرَاناً كنَّ أم إنَاثا"[54].

قال الشافعي (ت 204هـ): "إن علم العرب كان في زجر الطير والبوارح والخط والاعتياف، وكان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمرًا نظر أول طائر يراه، فإن سبح عن يساره، فاختال عن يمينه قال: هذا طير الأيامن فمضى في حاجته، وإن سبح عن يمينه فمر عن يساره قال: هذا طير الأشائم فرجع، وقال: هذه حاجة مشؤومة، وقال الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري:

لم يزجر الطير إن مرت به سُنُحا ولا يفيض على قسمٍ بأزلام

يعني أنه سلك طريق الإسلام في التوكل على الله تعالى، وترك زجر الطير، وقال بعض شعراء العرب يمدح نفسه:

ولا أنا ممن يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض ثعلب

كان العرب في الجاهلية إذا لم ير طيرًا سابحًا، فرأى طائرًا في وكره حركه من وكره ليطير، فينظر: أسلك له طريق الأشائم، أو طريق الأيامن، فيشبه أن يكون قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أقروا الطير على مكناتها" أن لا تحركوها، فإن ما يعتقدون وما يعملون به من الطيرة لا تصنع شيئا، وإنما يصنع فيما يوجهون له قضاء الله عز وجل"[55].

ذكر أبو نعيم (ت 430هـ) بسنده إلى محمد بن مهاجر قال: سمعت ابن عيينة يسأل عن هذا الحديث فيفسره على نحو ما فسره الشافعي، قال ابن مهاجر فسألت الأصمعي عن تفسير هذا الحديث؟ فقال مثل ما قال الشافعي، قال: وسألت وكيعا فقال: إنما هي عندنا على صيد الليل، فذكرت له قول الشافعي فاستحسنه وقال: ما ظننته إلا على صيد الليل[56].

وقد كشف الشافعي عن معنى هذا الحديث، حيث كان يحمله الناس على النهي عن صيد الطير ليلا، فأبان الشافعي عن وجه الحديث وتأويله، وعنه نقل ذلك، ويدل ذلك على علم الشافعي بدقائق أحوال العرب في جاهليتها، وأهمية ذلك في فهم السُّنَّة.

ومما يدخل في سد الوسائل المفضية إلى الطيرة، ما جاء في تغيير الأسماء التي قد يوقع ظاهرها في التطير[57].

خامسًا– إبطال تركهم الزواج في شوال تطيرا:

وفي البيئة الجاهلية تتفاقم الأوهام وتكثر وتدخل في كل جوانب الحياة، فقد جعلوا من التطير والتشاؤم حَكَمًا في كثير من شؤون حياتهم، وعلى عادتهم حيث يجعلون ما يدل عليه الاسم في أصله وما يشتق منه من معاني قبيحة سببًا كافيًا لتطيرهم من ذلك، واعتقادهم أن في ذلك رسالة من عالم الغيب تدعوهم للكف والامتناع.

قال الأزهري (ت 370هـ): "وكانت العرب تَطَّير من عقد المناكح في شهر شوال، وتقول: إن المنكوحة تمتنع من ناكحها، كما تمتنع طروقة الفحل إذا لقِحَتْ، وشالت بذنبها، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم طيرتهم"[58].

قال القاضي عياض (ت 544هـ): "كانت الجاهلية تكره هذا وتطير من ذلك؛ لما في اسم شوال من قولهم: شالت نعامتهم، وشالت النوق بأذنابها إذا رفعتها"[59].

---

[53] الطحاوي، شرح معاني الآثار، (313/4).

[54] أحمد في مسنده (381/6)، وأبو داود رقم الحديث (2835)، وابن حبان في صحيحه (13/ 495)، والحاكم في المستدرك (4/ 238) من طريق سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه عن سباع بن ثابت عن أم كرز.

جاء في مسند أحمد (6 / 381) قال أبو عبد الرحمن سمعت أبي يقول سفيان يهم في هذه الأحاديث عبيد الله سمعها من سباع بن ثابت.

وأخرجه الطيالسي (1634)، والطبراني في الكبير (25/ 407)، وأبو نعيم في الحلية (9/ 95)، من طريق سفيان بن عيينة، به. دون ذكر والد عُبيد الله في إسناده. فالحديث في إسناده مقال، لكن يشهد له أحاديث الباب.

[55] يُنظر: البيهقي، معرفة السنن والآثار (14/ 71)، الطحاوي، شرح مشكل الآثار (2/ 258)، الماوردي، والحاوي الكبير (15/ 127)

[56] أبو نعيم، حلية الأولياء (9 / 95)

[57] ينظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار (5 / 103)، وابن حبان في صحيح (13 / 139).

[58] الأزهري، تهذيب اللغة (11 / 412)

[59] القاضي عياض، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (4 / 575)

– عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فِي شَوَّالٍ وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي". وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ[60].

قال أبو العباس القرطبي (ت 656هـ): "هذا إنما قالته عائشة رضي الله عنها لتردَّ به قولَ مَنْ كان يُكره عقدُ النكاح في شهر شوّال، ويتشاءم به من جهة أن شَوَّالاً من الشَّوْل، وهو الرَّفْع. ومنه؛ شالتِ الناقةُ بِذَنَبِهَا، وقد جعلوه كناية عن الهلاك؛ إذ قالوا: شالت نعامتُهم؛ أي هلكوا. فشوَّال معناه كثير الشول، فإنَّه للمبالغة، فكأنهم كانوا يتوهّمون أنَّ كلَّ مَنْ تزوّج في شوَّال منهن شال الشنآن بينها وبين الزوج، أو شالت نفرته، فلم تحصل لها حظوة عنده، ولذلك قالت عائشة رادَّةً لذلك الوهم: "فأي نسائه كان أحظى عنده مني"؛ أي: لم يضرّني ذلك ولا نقص من حُظوتي، ثم إنها تبرّكت بشهر شوَّال فكانت تحب أن تدخل نساءها على أزواجهنّ في شوّال؛ للذي حصل لها فيه من الخير برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الحُظوة عنده، ولمخالفة ما يقول الْجُهَّال من ذلك، ومن هذا النوع كراهية الْجُهَّال عندنا اليوم عقد النكاح في شهر المحرَّم، بل ينبغي أن يُتَيَمَّن بالعقد والدخول فيه، تَمَسُّكًا بما عظَّم الله ورسوله من حرمته، ورَدْعًا للجُهَّال عن جهالاتهم"[61].

قال ابن رجب (ت 795هـ): "وكذلك تشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة وقد قيل: إن أصله أن طاعونًا وقع في شوال في سنة من السنين فمات فيه كثير من العرائس، فتشاءم بذلك أهل الجاهلية، وقد ورد الشرع بإبطاله"[62].

المطلب الثالث: إبطال ما كانوا يعتقدونه في صفر

أولًا– من الروايات في قوله " لا صفر"

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ"[63].

– عن السَّائِب بْن يَزِيدَ ابْن أُخْتِ نَمِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ[64].

– ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا طِيَرَةَ وَلَا عَدْوَى وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَأْخُذُ الشَّاةَ الْجَرْبَاءَ فَنَطْرَحُهَا فِي الْغَنَمِ فَتَجْرَبُ قَالَ فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ[65].

ثانيًا– اختلاف العلماء في المقصود بقوله " لا صفر":

قال ابن القيم (ت 751هـ): قوله في الحديث "لا عدوى ولا صفر ولا هامة" المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه[66].

وقد اختلف في المراد من نفي صفر، على أقوال:

1. إنه دَاءٌ يَأْخُذُ الْبَطْنَ، وهو ما بوّب به البخاري على الحديث[67]، فالعرب كانت تقول: الصفر حية تكون في البطن تصيب الإنسان والماشية، تؤذيه إذا جاع، وهي أعدى من الجرب عند العرب[68].

قال الحافظ ابن حجر (ت 852هـ): "فعلى هذا، فالمراد بنفي الصفر ما كانوا يعتقدونه فيه من العدوى، ورجح عند البخاري هذا القول لكونه قرن في الحديث بالعدوى وكذا رجح الطبري"[69].

---

[60] أحمد في مسنده(54/6)، ومسلم في صحيحه (1423) والترمذي في جامعه: (1093)، والنسائي في سننه (3236).

[61] أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (4 / 124)

[62] ابن رجب، لطائف المعارف ص 81.

[63] البخاري في صحيحه (5757)، ومسلم في صحيحه(2220).

[64] أحمد في المسند (449/3)، ومسلم في صحيحه (2220)، والطبراني في الكبير (149/7)،

[65] أحمد في مسنده (1/ 328)، وابن ماجه في سننه (3539)، وابن أبي شيبة في المصنف (449/13)، وأبو يعلى في مسنده (221/4) وابن حبان في صحيحه (486/13) والطبراني في الكبير (288/11) من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس.

[66] ابن القيم، مفتاح دار السعادة (1527/3) بتصرف يسير.

[67] ينظر: البخاري، صحيح البخاري (7/ 128)

[68] ينظر ابن عبد البر، التمهيد (199/24)، والقاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (2 / 49)

[69] ابن حجر، فتح الباري (10 / 171)

وقال الراغب الأصفهاني (ت 502هـ): "وسمي خلو الجوف والعروق من الغذاء صفرًا، ولما كانت العروق الممتدة من الكبد إلى المعدة إذا لم تجد غذاء امتصت أجزاء المعدة اعتقدت جهلة العرب أن ذلك حية في البطن تعض بعض الشراسيف[70] حتى نفى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (لا صفر)، أي: ليس في البطن ما يعتقدون أنه فيه من الحية"[71].

2. وقيل هو الصفار يكون بالإنسان حتى يقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يقتل الصفار أحدا"[72].

3. وقيل إنه النسيء الذي كان يفعله أهل الجاهلية.

قال القاضي عياض (ت 544هـ): قوله "لا صفر" قيل المراد الشهر المعلوم، وتغيير الجاهلية حكمه واسمه في النسيء، وتأخيرهم المحرم إليه وتحريمه، وهذا قول مالك وغيره، وقيل تقديمه هو مكان المحرم وتحليله، وقيل بل كانوا يزيدون في كل أربع سنين شهرًا يسمونه صفر الثاني فتكون السنة الثالثة من ثلاثة عشر شهرا لتستقيم لهم الأزمان، على موافقة أسمائها مع الشهور وأسمائها، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "السنة اثنا عشر شهرا"[73].

4. وقيل: إنه التشاؤم بشهر صفر على ما كانت عليه عادة أهل الجاهلية[74].

5. قال البيضاوي (ت 691هـ): "ويحتمل أن يكون نفيًا لما يتوهم أن شهر صفر تكثر فيه الدواهي والفتن"[75].

ثالثًا- الراجح من أقول العلماء:

والرابع والخامس هما كقول واحد، أن المقصود هو نفي ما يتوهم أن شهر صفر تكثر فيه المصائب، ونهي عن التشاؤم منه، وهو أرجح ما ذكر في شرح الحديث.

قال ابن رجب (ت 795هـ): "أما تخصيص الشؤم بزمان دون زمان كشهر صفر أو غيره فغير صحيح، وإنما الزمان كله خلق الله تعالى، وفيه تقع أفعال بني آدم، فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤم عليه، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى"[76].

قال الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ): "أضاء على العرب وهم في ظلمات الجاهلية نور بزغ، وفجر سطع، وهو نور الإسلام الذي جاء لإنقاذ البشر كلهم من ظلمات الأوهام والزيغ، فطلعت شمسه على العرب مثل كل الأمم فأنحى على عقائد العرب الضالة.. فكان أول ما دعاهم الإسلام إليه صحة الاعتقاد المستتبع تصحيح التفكير ... ثم إلى نبذ سفاهة الأحلام في هذه الأوهام، وأرشدهم إلى أن ما لا دليل عليه من وحي أو عقل يقبح تقلده ... ومن الضلالات التي اعتقدها العرب؛ اعتقاد أن شهر صفر شهر مشؤوم، وأصل هذا الاعتقاد نشأ من استخراج معنى مما يقارن هذا الشهر من الأحوال في الغالب عندهم، وهو ما يكثر فيه من الرزايا بالقتال والقتل، ذلك أن شهر صفر يقع بعد ثلاثة أشهر حرم نسقاً وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وكان العرب يتجنبون القتال والقتل في الأشهر الحرم؛ لأنها أشهر أمن.. فكانوا يقضون الأشهر الحرم على إحنٍ من تطلُّب الثارات والغزوات، وتشتت حاجتهم في تلك الأشهر، فإذا جاء صفر بادر كل من في نفسه حنق على عدوه فثاوره، فيكثر القتل والقتال"[77].

المطلب الرابع: إبطال الهامة

أولا- روايات الحديث:

---

[70] الشراسيف أطراف أضلاع الصدر التي تُشرف على البطن. انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (449/11)

[71] الراغب، مفردات ألفاظ القرآن ص283

[72] ابن عبد البر، التمهيد (24 / 198)، وينظر: ابن قتيبة، غريب الحديث (548/2)

[73] القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (2 / 49).

[74] ينظر: أبو داود في سننه (59/6)، البغوي، شرح السنة (12 / 171)، القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (2 / 49)

[75] المُناوي، فيض القدير (6 / 561)

[76] ابن رجب، لطائف المعارف ص 81.

[77] ابن عاشور، مقال بعنوان " لا صفر" مجلة الزيتونة، المجلد الأول، الجزء الثامن، ص 383.

سبق ذكر إبطال الهامة في حديث أبي هريرة، وحديث السائب بن يزيد، وحديث ابن عباس، ومن الأحاديث في ذلك حديث:

– عن سعيد بنِ المُسيَّب عن سعدِ بنِ أبي وقاص، أن رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم كان يقولُ: "لا هَامَةَ، ولا عَدْوى، ولا طِيرَةَ"[78].

ثانيًا: شرح الحديث

قال القاضي عياض (ت 544هـ): قوله: " ولا هامة" فاختلف فيه، فقيل: كانت العرب تتشاءم بالهامة إذا سقطت على دار أحدهم، فيراها ناعية نفسه أو أحدًا من أهله، وإلى هذا التفسير ذهب مالك. وقيل: كانت العرب تعتقد أن عظام الميت تنقلب هامة تطير، فأنكر صلى الله عليه وسلم هذا كله وأبطله، ويسمى الطائر الذي يعتقد خروجه من هامة الميت صدى، وجمعه أصداء، وقد قيل: إن المراد بالحديث هذا الطائر الذي يخرج من الرأس"[79].

قال ابن الأثير (ت 606هـ): "الهامة الرأس، واسم طائر، وهو المراد في الحديث، وذلك أنهم كانوا يتشاءمون بها، وهي من طير الليل، وقيل هي البومة، وقيل كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يُدرك بثأره تصير هامة فتقول اسقوني، فإذا أُدرك بثأره طارت، وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت وقيل روحه تصير هامة فتطير، ويسمونه الصَّدَى فنفاه الإسلام ونهاهم عنه"[80].

قال النويري (ت 733هـ): "العرب تزعم أن الإنسان إذا مات أو قتل تتصوّر نفسه في صورة طائرٍ تصرخ على قبره مستوحشةً لجسدها. وتقول العرب: إن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يصير في قدر البوم، ويسمّونه الهام، واحده هامةٌ. وهو يتوحّش ويصيح ويوجد في الدّيار المعطّلة وحيث مصارع القتلى وأجداث الأموات. ويقولون: إنه لا يزال عند ولد الميّت ومُخْلَفيه ليعلم ما يكون بعده فيخبره. وهذا كلّه أراه من خرافات العرب وأكاذيبها. وما زالوا على ذلك حتى جاء الإسلام فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال: " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة " الحديث"[81].

قال ابن رجب (ت 795هـ): "فهو نفي لما كانت الجاهلية تعتقده أن الميت إذا مات صارت روحه أو عظامه هامة، وهو طائر يطير وهو شبيه باعتقاد أهل التناسخ: أن أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور، وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها وتكذيبها، ولكن الذي جاءت بها الشريعة؛ أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وترد أنهار الجنة إلى أن يردها الله إلى أجسادها، وروي أيضا أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى أجسادها يوم القيامة"[82].

المطلب الخامس: إبطال الغول

– عَنْ جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَلاَ غُولَ"[83].

يرجع معنى الغول إلى الخَتْل والأخذ والاغتيال من حيث لا يدري، والغَوْل: بُعْدُ المَفَازَة، لأنَّه يغتالُ من مَرَّ به، وقد تغولت الأرض بفلان: أي اهلكته وضللته، وقد غالتهم تلك الأرض: إذا هلكوا [84].

---

[78] أحمد في مسنده (174/1)، وأبو داود في سننه رقم الحديث (3921)، وأبو يعلى في مسنده (106/2)، والطبري في تهذيب الآثار (10/3) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (497/13)، وابن عبد البر في التمهيد (193/24). كلهم من طريق يحيى بن أبي كثير، عن الحضرميّ ابنَ لاحِقٍ عن سعيد بنِ المُسيَّب عن سعدِ بنِ مالك.

[79] القاضي عياض، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (7 / 143)

[80] ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث (5 / 283)

[81] شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (10 / 286).

[82] ابن رجب، لطائف المعارف ص (81)

[83] أحمد في مسنده (3/ 293)، ومسلم في صحيحه رقم الحديث (2222)، وابن حبان في صحيحه (498/13).

[84] يُنظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (4 / 402)، الأزهري، تهذيب اللغة (8 / 192).

قال الكفوي (ت 1094): "كل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول، والعرب تسمي كل داهية غولًا، على التهويل والتعظيم على ما جرت به عادتهم فيما لا أصل له ولا حقيقة كالعنقاء، وقال بعضهم: الغول نوع من الجن كان يغتال الناس بغتة بحيث لا يعرف له مكان حتى يطلب، ثم استعمل غول الغول في انتفاء أمر بحيث لا يرى منه أثر"[85].

قال الأزهري (ت 370هـ): "كانت العرب تقول: إن الغيلان في الفلوات تراءى للناس وتتغول تغولًا، أي تتلون ألوانًا، وتضل الناس عن طرقهم وتهلكهم، وتزعم أنها مردة الجن والشياطين، وذكروا ذلك في أشعارهم فأكثروا، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا؛ ولم يحقق ما تواطأوا عليه، ونفى جميع ما ذكروه، وقوله الحق وما قالوه باطل"[86].

والعجب من قول بعض الشراح: إن الغول جنس من الجن والشياطين، وهذا يدل على عدم إحكام هذا الباب، وأنه لم يأخذ حقه من البيان والنظر والتحقيق والتأصيل، ولذلك سهل عودة الخرافات والأوهام إلى حياة الناس مع كثرة النصوص في القرآن والسنة التي تحارب الخرافات، وتبطل الأوهام، وتدل على هدي النبي صلى الله عليه وسلم ومنهجه في إبطال الأوهام.

فالغول اسمٌ ليس له مسمى في الحقيقة[87]، إنما هو شيء تزعمه العرب مما تولد من تخيلاتهم فيما كان يتراءى لهم من خيالات أو أسوده، وخاصة عندما ينقطعون في الفيافي، ثم تواردوا على تناقله وتتابعوا على ذلك، حتى صار عندهم حقيقة، ثم زعموا زعمًا أن الغول من مردة الجن والشياطين، وهو زعم باطل، وإنما أبطله النبي صلى الله عليه وسلم ونفاه لأنه ليس له حقيقة إنما هو وهْمٌ توهموه، وأما القول بأن الغول جنس من الجن والشياطين كما جاء عند بعض الشُّراح، فأراه مجانبًا للصواب، وهؤلاء عندما قالوا: إن الغول جنس من الجن، قالوا عن قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا غول": ليس نفيًا لعين الغول ووجوده وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله[88].

والصواب أنه نفي لعين الغول ووجوده، فلا غول، كما أنه لا هامة، والله أعلم

قال ابن عاشور (ت 1393هـ): لا يُسمى معنى الغول ومعنى العنقاء حقيقة، وإنما هي ماهية مفروضة، ومن يعبر عنها بالحقيقة فقد تساهل، فإن الماهية أعم من الحقيقة[89].

ويذكر الجاحظ (ت 255هـ) كيف كان ابتداء حدوث هذا الوهم عند العرب، قال: "وكان أبو إسحاق[90] يقول في الذي تذكر الأعرابُ من عزيف الجنان وتغوُّل الغيلان: أصلُ هذا الأمر وابتداؤه أنّ القوم لما نزلوا بلاد الوحش عملتْ فيهم الوَحْشة، ومن انفردَ وطال مُقامُه في والوَحدةُ لاتقطع أيامهم إلا بالمُنى أو بالتفكير، والفكرُ ربما كان من أسباب الوَسوَسة. وإذا استوحشَ الإنسانُ تمثّل له الشّيء الصغيرُ في صورة الكبير، وارتاب وتفرَّق ذهْنه وانتقضت أخلاطُه، فرأى ما لا يُرى وسمع ما لا يُسمع، وتوهم على الشيء اليسير الحقير أنه عظيمٌ جليل.

ثمَّ جعلوا ما تصوَّر لهم من ذلك شعرا تناشدوه، وأحاديث توارثوها، فازدادوا بذلك إيماناً ونشأ عليه الناشئ ورُبّي به الطِّفل، فصار أحدهم حين يتوسَّط الفيافيَ وتشتملُ عليه الغيظان في اللَّيالي الحنادس فعند أوَّل وحْشةٍ وفزْعة وعند صياح بُوم ومجاوبة صدًى، وقد رأى كلَّ باطل وتوهَّم كلَّ زُور، وربما كان في أصل الخلْق والطبيعة كذّاباً نفّاجاً وصاحبَ تشنيعٍ وتهويل، فيقولُ في ذلك من الشِّعر على حسب هذه الصِّفة فعند ذلك يقول: رأيتُ الغيلان وكلّمت السِّعلاة، ثمَّ يتجاوزُ ذلك إلى أن يقول قتلتها ثم يتجاوزُ ذلك إلى أن يقول: رافَقتها ثمَّ يتجاوز ذلك إلى أن يقول: تزوَّجتها.

وممّا زادهم في هذا الباب وأغراهم به ومدَّ لهم فيه، أنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار إلا أعرابيّاً مثلهم، وإلا عَامّيّاً لم يأخُذْ نفسه قط بتمييز ما يستوجب التّكذيب والتّصديق أو الشّكّ، ولم يسلُك سبيلَ التوقف والتثبّت في هذه الأجناس قطّ، وإمَّا أن

---

[85] أبو البقاء الكفوي، الكليات ص 663.

[86] الأزهري، تهذيب اللغة (8 / 193)، وينظر: الحميدي، "تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم"، ص 90.

[87] ينظر: محمد رشيد رضا تفسير المنار (7 / 438)

[88] ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (3 / 396)، القاضي عياض، إكمال المعلم (145/7)

[89] ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص 25.

[90] هو أبو إسحاق النظام، ينقل عنه الجاحظ كثيرا في كتبه، ومنها كتاب الحيون.

يَلقَوْا رَاوِيَة شعر، أو صاحب خبَر فالرّاوية كلّما كان الأعرابيُّ أكذبَ في شعره كان أطْرَف عِنْده وصارت روايتُه أغلبَ ومضاحيكُ حديثه أكثر، فلذلك صار بعضهم يدّعي رؤية الغُول أو قتلها أو مرافقتها أو تزويجها"[91].

فالغول: لم يخبر صادق قط أنه رآها[92]، ولذلك يقولون: إنّي لمكذوب عليه كما كذبت العرب على الغول[93].

جاء في رسالة الغفران: "يقول لتأبّط شرّاً: أحقٌّ ما روي عنك من نكاح الغيلان؟ فيقول: لقد كنَّا في الجاهليَّة نتقوَّل ونتخرَّصُ، فما جاءك عنَّا ممّا ينكره المعقول فإنّه من الأكاذيب، والزَّمن كلَّه على سجيَّةٍ واحدةٍ"[94].

قال أبو العباس القرطبي (ت 656هـ): ومقصود هذا الحديث إبطال ما كانت العرب تقوله، وتعتقده في هذه الأمور، وألا يُلتفت لشيء من ذلك، لا بالقلب ولا باللسان[95].

المطلب السادس: إبطال ما كانوا يعتقدون في الأنواء.

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لاَ عَدْوَى وَلاَ هَامَةَ وَلاَ نَوْءَ وَلاَ صَفَرَ"[96].

ذكر ابن فارس (ت 395هـ) أن كلمة نوء: "تدلُّ على النُّهُوض، وناءَ ينوءُ نوءاً: نَهَضَ. والنَّوْءُ من أنواءِ المطَر كأنَّه ينهَض بالمطر. وكلُّ ناهض بِثِقْلٍ فقد ناءَ. وناءَ البعيرُ بِحِمْلِهِ"[97].

وجاء في كتاب العين: "النَّوْءُ؛ مهموز: من أنواء النجوم، وذلك إذا سقط نجم بالغداة فغاب مع طلوع الفجر، وطلع في حياله نجمٌ في تلك السَّاعة على رأس أربعة عشر منزلاً من منازل القمر، سُمِّي بذلك السقوط والطلوع نوءً من أنواء المطر والحر والبرد وذلك من قولك: ناء ينوءًا، والشيء إذا مال إلى السُّقوط تقول: ناء ينوء نوءًا، وإذا نهض في تَثاقُلٍ يقال: ناء ينوء به نَوْءًا إذا أطاقه"[98].

قال الأزهري (ت 370هـ): "وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لابد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك النجم، فيقولون: مُطرنا بنَوْء الثريا والدَّبران والسِّمَاك"[99].

وقد كانت العرب ومن خلال معرفتها بالأنواء تستطيع متابعة التقويم الشمسي، الذي تقسم فيه السنة إلى فصول ثابتة، تُعرف من خلالها مواسم الحر والبرد والاعتدال والمطر في الجملة، ويتم ذلك من خلال متابعة حركة النجوم، التي تكون على هيئة معينة يسميها العرب "منازل"، وهي ثمان وعشرون منزلة، يظهر منها في السماء عند النظر إليها 14 منزلة، وكل ثلاثة عشر يومًا تسقط منزلة إذا تم مراقبة ذلك في نفس الساعة كل يوم، فإذا سقطت منزلة في الغرب، ظهر في ذلك الوقت منزلة أخرى في الشرق، وهذا السقوط والظهور للمنازل هو ما يُعرف بالأنواء، وينتج ذلك عن حركة الأرض حول الشمس، ويكون مجموع المنازل في السنة ثمان وعشرون منزلة. فأمكنهم من خلال ذلك معرفة الفصول الشمسية الثابتة، ومعرفة الأنواء الجوية من حيث الجملة.

وكان ينتج عن متابعة التقويم الشمسي بطريقة الأنواء معرفة مواسم الحر والبرد والمطر، فيجري على ألسنتهم نسبة الأحداث إلى تلك الأنواء، وربما قوي اعتقادهم أن نزول المطر كان بسبب الأنواء، وهذا ما أبطله النبي صلى الله عليه وسلم. ولعل العرب كانوا لا يضبطون الحساب الشمسي يومًا بيوم، فيغيب عنهم التحديد الدقيق لتاريخ يومهم، وخاصة إذا انقطعوا في البوادي والصحاري، فتجدهم يدركون ذلك بمراقبة نجوم الأنواء، فيدلهم ذلك على الحساب الشمسي بشكل تقريبي.

---

[91] الجاحظ، الحيوان (6 / 248)
[92] المبرد، الكامل في اللغة والأدب (3 / 72).
[93] أبو العلاء المعري، رسالة الغفران ص389.
[94] المصدر السابق.
[95] أبو العباس القرطبي، المفهم في شرح تلخيص مسلم.
[96] أحمد في المسند (397/2) ومسلم في صحيحه رقم الحديث (2220) وأبو داود في سننه رقم (3912).
[97] ابن فارس، مقاييس اللغة (5 / 366)
[98] الفراهيدي، كتاب العين، (8 / 391)
[99] الأزهري، تهذيب اللغة (15 / 536)

قال ابن قتيبة (ت 276هـ): "معنى النوء سقوط النجم منها في المغرب مع الفجر، وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق، وسقوط كل نجم منها في ثلاثة عشر يوما، فيكون انقضاء سقوط الثمانية والعشرين نجمًا مع انقضاء السنة، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول في ابتداء السنة المقبلة، وكانت العرب تقول: لا بد لكل كوكب من مطر أو ريح أو برد أو حر، فينسبون ذلك إلى النجم، وإذا مضت مدة النوء ولم يكن فيها مطر، قيل خوى نجم كذا"[100].

قال: "وقد تدبرت ما جاء في الشعر من نسبة العرب المطر إلى نوء النجم، فوجدته نوعين: أحدهما أن يجعلوا نوء النجم علمًا للمطر ووقتًا له، كما يجعلون الشتاء للبرد وقتًا، والقيظ للحر وقتًا، وكما يقولون لمطر الشتاء " الشتي" فينسبونه إليه لأنه وقت له، ومن ذهب منهم هذا المذهب، ونوى في النوء هذه النية، فقال: مطرنا بنوء الثريا، يريد حين تبين ناءت، لم يكن بذلك بأس، ولا عليه فيه جناح إن شاء الله ... والنوع الآخر: هو أن يجعل الفعل للكوكب فيكون عنده هو الذي أنشأ السحاب، وأتى بالمطر، وهذا من أمور الجاهلية، وإياه أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاث من أمور الجاهلية: "الطعن في الأنساب، والنياحة، والأنواء" وقال: " ما أنعمت على عبادي نعمة إلا أصبحت طائفة منهم بها كافرين، يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، فأما من آمن بي، وحمدني على سقياي، فذلك الذي آمن بي وكفر بالكوكب[101]" ... ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذم مذاهب العرب في الأنواء، فدل ذلك على أنه لا عمل للنوء في السحاب والرياح والمطر، لساغ للظان بإكثار العرب في هذا أن يظن أن للنوء عملا في المطر كعمل الريح في إنشاء السحاب واستنزال المطر وإلقاح الشجرة، وكعمل القمر في المد والجز، وهذه أشياء سخرها الله عز وجل، ووصف الخلق بها، فلم تعدُّ ما سخرت له، والأفعال مضافة إليها، والفعل لله عز وجل بها، وكل هذه الثمانية والعشرين لها نوء، غير أن بعضها عندهم أحمد وأغزر، وهم بذكره ألهج، كنوء الثريا"[102].

قال الخطيب: فالعرب تعرف أوقات المطر والرياح والحر والبرد بمطالع النجوم، ولهم في ذلك فضيلة بينة، وإذا رأوا السحاب؛ عرفوا هل هي ذات مطر أم لا، وهل مطرها كثير أو غير ذلك.. وهذا من علم النجوم؛ هو العلم الصادق النافع، وبه يكون الاهتداء في ظلمات البر والبحر، والنجاة من حيرة الضلال، وبه يعرف وقت النتاج، ووقت تأبير النخل، ووقت بيع الثمرة، وإقبال الخير وإدباره، وأمارات الخصب والجدب[103].

فكان العرب وقد شغفوا بالليل، وقد ألجأتهم الحاجة إلى معرفة مواسم الحر والبر، كانوا يراقبون السماء في الليل، فعرفوا من مراقبة القمر السنة الهلالية، وعرفوا من مراقبة النجوم فصول السنة الشمسية الثابتة، وما تدل عليه من حر وقيظ وبرد وتوقع المطر. ولشدة ارتباط نزول المطر بالأنواء من حيث الوقت تجد العرب ينسبون المطر إليها.

فيظهر من خلال الحديث أن العرب كانوا يترقبون المطر في موسمه، بما تدل عليه أنواء السماء، فكانوا أولًا يستبشرون بانجلاء القيظ والحر، ثم يترقبون المطر، في أنواء محددة، لا يعلمون في أيها يكون المطر، وربما خوت كلها ولم يحدث في وقتها مطر، فكانوا لذلك إذا أمطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا، كأنهم يجعلون الفضل له في حصول المطر، وفي ذلك ما يضعف رؤية اليد القادرة التي ترسل الرياح وتسوق السحاب، وربما أدى ذلك إلى أن يعتقد بعضهم أن للنجوم تأثيرا في حصول المطر، وهذا بالتحديد ما أبطله رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: " لا نوء" فلا تأثير لها، ومن كفر النعمة أن يُنسب الفضل لها في حصول المطر.

وقد جاء في مسند الحميدي بسنده إلى محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمه بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل ليصبح القوم بالنعمة ويمسهم، فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا". قال محمد بن إبراهيم فحدثت به سعيد بن المسيب، فقال: قد سمعنا هذا من أبي هريرة، ولكن أخبرني من شهد عمر يستسقي

[100] ابن قتيبة، كتاب " الأنواء في مواسم العرب" ص 6.
[101] سيأتي تخريجها.
[102] ابن قتيبة، كتاب الأنواء، ص.
[103] ينظر: الخطيب البغدادي، القول في علم النجوم، ص157.

بالناس، فقال يا عباس يا عم رسول الله؛ كم بقي من نوء الثريا؟ قال: العلماء بها يزعمون أنها تعترض بعد سقوطها في الأفق سبعًا قال فما مضت سابعة حتى مطرنا[104].

وواضح من خلال كلام سعيد بن المسيب أنه استشكل ما جاء في حديث أبي هريرة، بما يعلمه من وجود الأنواء، وصحة دلالتها على مواسم الحر والبرد والمطر.

فالأنواء ثابتة من حيث وجودها ودلالتها على فصول السنة، لكن لا يوجد لها تأثير في هبوب الرياح، وتكون السحاب، وحصول الغيث. فلا علاقة للأنواء والبروج ومنازل القمر بما يحدث من تغيرات في الأحوال الجوية، وإنما العلاقة لموقع الشمس من دائرة البروج في حركتها الظاهرية بالنسبة للأرض، بل رُوِي ما يدل على أن نسبة المطر ثابتة في الأرض، ولكنها تصرف حيث يشاء الله تعالى، قال تعالى: " ولقد صرفناه بينهم ليذكروا، فأبى أكثر الناس إلا كفورا" وجاء عن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " مَا مِنْ عَامٍ أَمْطَرَ مِنْ عَامٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ}(105).

– عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ" قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ"[106].

قال الحافظ ابن عبد البر (ت 463هـ): "المعتقد أن النوء هو الموجب لنزول الماء وهو المنشئ للسحاب دون الله عز وجل فذلك كافر كفرًا صريحا... وأما أن يعتقد أن النوء ينزل الله به الماء وأنه سبب الماء على ما قدره الله وسبق في علمه، فهذا وإن كان وجهًا مباحًا فإن فيه أيضًا كفرًا بنعمة الله عز وجل، وجهلًا بلطيف حكمته، لأنه ينزل الماء متى شاء مرة بنوء كذا ومرة دون النوء، وكثيرًا ما يخوى النوء فلا ينزل معه شيء من الماء، وذلك من الله لا من النوء، وكذلك كان أبو هريرة يقول إذا أصبح وقد مطر: مطرنا بنوء الفتح، ثم يتلو سمح مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاسجى سجحفَاطِر : تحجسحج.. وروي عن الحسن البصري أنه سمع رجلًا يقول طلع سهيل وبرد الليل، فكره ذلك وقال: إن سهيلًا لم يأت قط بحر ولا برد، وكره مالك بن أنس أن يقول الرجل للغيم والسحابة ما أخلقها للمطر، وهذا من قول مالك مع روايته إذا أنشأت بحرية تدل على أن القوم **احتاطوا فمنعوا الناس من الكلام بما فيه أدنى متعلق من زمن الجاهلية في قولهم: مطرنا بنوء كذا.**

قال: وأما العرب فكانت تضيف المطر إلى النوء، وهذا عندهم معروف مشهور في أخبارهم وأشعارهم، فلما جاء الإسلام نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأدبهم وعرفهم ما يقولون عند نزول الماء، وذلك أن يقولوا: "مطرنا بفضل الله ورحمته" ونحو هذا من الإيمان والتسليم لما نطق به القرآن .. والعرب تعرف من أمر الأنواء وسائر نجوم السماء ما لا يعرفه غيرها، لكثرة ارتقابها لها ونظرها إليها لحاجتها إلى الغيث وفرارها من الجدب، فصارت لذلك تعرف النجوم الجواري والنجوم الثوابت وما يسير منها مجتمعا وما يسير فاردا، وما يكون منها راجعا ومستقيما، لأن من كان في الصحاري والصحاح الملساء حيث لا أمارة ولا هادي طلب المنائر في الرمل والأرض وعرف الأنواء ونجوم الاهتداء"[107].

– عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ؛ الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَقَالَ النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهَا سَرَابِيلُ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ[108].

---

[104] الحميدي، مسند الحميدي(2 / 432)

[105] الطبري في تفسيره (280/19) والحاكم في المستدرك (403/2)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ

[106] البخاري في صحيحه، رقم الحديث (846)، ومسلم في صحيحه رقم الحديث (71)

[107] ابن عبد البر، التمهيد (16 / 286) بتصرف واختصار.

[108] أحمد في مسنده (344/5)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (934)، وابن حبان في صحيحه (412/7).

والاستسقاء: استدعاء السُّقي وسؤالُه، وكأنهم كانوا يسألون من النجوم أن تسقيهم؛ بناءً منهم على اعتقادهم الفاسد في أن النجوم تُوجِد المطر وتخلقه ... فنهى الشرعُ عن إطلاقِ ذلك؛ لئلا يَعْتَقِدَ أحدٌ اعتقادَهُمْ، ولا يتشبَّهَ بهم في نُطْقهم، والله أعلم[109].

المبحث الثاني– المنهج المعرفي الذي تُؤسس له السنة النبوية:

بعد هذا البيان لحديث " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، ولا نوء ولا غول" الذي ينفي فيه النبي صلى الله عليه وسلم تلك الأوهام، وأن هذه الأمور لا حقيقة لها، وهذا الحديث هو مثال من أحاديث كثيرة، نطل من خلالها على تلك المعالجة الشاملة التي قام بها النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ ليبطل تلك الأوهام والخرافات والتصورات الخاطئة التي وُجدت بسبب من الجاهلية وتراكماتها الطويلة، ويبطل ما كان في الجاهلية من أسباب ينشأ عنها مثل هذا التفكير الخرافي والتعليل البدائي، ويهدم البيئة الجاهلية التي تجعل في الناس استعدادًا لقبول مثل هذه التصورات والأوهام، ونجد النبي –صلى الله عليه وسلم– من خلال هذه المعالجة يُؤسس لمنهج معرفي يقوم على الدليل والبرهان الذي يُوصل إلى اليقين وتنقطع معه الظنون المجردة، فيكون هذا المنهج أداةً لمعرفة الحقيقية، ويُؤسس لطريقة التفكير العلمي البرهاني، التي ترفض التسليم إلا بما يقبله الشرع أو العقل، وهذا هو جوهر التربية العقلية التي ينشدها القرآن.

وكان التركيز أولًا على إبطال أكبر تلك الأوهام وهو الشرك والوثنية، ليبطل ما كانت تَجرُّه وراءها من سيل جارف من الأوهام والخرافات والأساطير.

قال ابن عاشور (ت 1393هـ): "فإذا نشأ على الاعتقاد المصيب ارتاض عقله بقوانين الفكر المصيب، وإذا نشأ على ضد ذلك سُخِرَ عقله لاتباع طرائق الخطأ في التفكير وقبول التعاليم الضالة، ثم اخترع تعاليم أخرى، إلى أن تتراكم عليه الضلالات والخرافات ... والإسلام لا يضارعه دين من الأديان في شدة الاهتمام بتوضيح العقيدة وتحديد معانيها والحرص على تلقينها وإقامة ... وقد جعل ذلك مبنى الخير كله"[110].

فكانت السُّنَّة؛ تطبيقًا لروح القرآن وتتبعًا لوحيه، تُؤسس لمنهج معرفي أصيل، يحفظ الأمة في فكرها وعقيدتها وتصوراتها ومعارفها وحضارتها مهما تقدم بها الزمان.

"يبين لنا القرآن الكريم في حشد من الآيات الهدف الذي من أجله بعث الله نبيه الكريم وهو الهدف نفسه الذي يتوصل إليه من خلال دراسة تاريخية للجزيرة العربية في صدر الإسلام. فقد عمل النبي –صلى الله عليه وسلم– طوال المسيرة الرسالية المباركة على محاربة الخرافات والأساطير الخياليّة، وتطهير الفكر والعقل البشري من صدئها، فكان يصرح أنه إنما بعث ليوقظ الفكر البشري ويهديه إلى مناحي التفكر السليم، لينمو ويرشد، ولن يتسامح مع الخرافات والأوهام ... ولقد جهد –صلى الله عليه وسلم– طوال فترة حياته الشريفة أن يرشد الناس إلى أن يبنوا تفكُّرهم على الحقائق والواقعيات، وأن يكونوا عبّاد وعشّاق الحقيقة، ولو كانت على حساب مالهم وجاههم، وتكفي مطالعة لبعض الأحداث في حياته التي تظهر أنه لم يسمح للخرافات في التواجد رغم بساطتها الظاهرية"[111].

ويمكن إبراز معالم هذا الهدي النبوي في إبطال الأوهام وإصلاح التفكير بما يلي:

1. تُوصل السُّنَّة النبوية أن مصادر المعرفة تتمثل في الوحي والعقل والحس، وأن الوحي هو أول مصدر للمعرفة وأقواها وأوثقها، وأن أي معرفة في الإسلام لا بد أن تكون منضبطة محكومة بهذا الأصل، وسيأتي ذكر حديث تأبير النخل وتأصيله لذلك.

---

[109] يُنظر: أبو العباس القرطبي، المفهم (587/2) و(260/1)

[110] ابن عاشور، صول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص 44.

[111] جعفر سبحاني، الإسلام والحرب على الخرافات، ، ضمن مجلة نصوص معاصرة، العدد 23، ص 14.

– وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ، لِرَجُلٍ أَجْرٌ وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ.. قال: وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– عَنِ الْحُمُرِ، قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ سمح فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ سجى(112).

فلما نزل في أمر الخيل ما نزل أخبرهم النبي –صلى الله عليه وسلم– بذلك وأبان لهم، وأصل ذلك في كتاب الله –تعالى– سمح وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡسجى سجحالأَنفَال : تجمتمحسحج، وعندما سألوه هم عن الحُمُر أعلمهم أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه ما أنزل عليه فيها شيء كما أنزل عليه في الخيل، وأن الحمر تدخل في عموم الآية الْفَاذَّة كما يدخل غيرها، والنبي –صلى الله عليه وسلم– يقوي فيهم القول بالدليل فيما يحتاج إلى دليل وبرهان.

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ: "إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم–: "هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَمَا أَلْوَانُهَا، قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ، قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا، قَالَ: فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا، قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: عِرْقٌ نَزَعَهَا، قَالَ: وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِي الِانْتِفَاءِ مِنْهُ"(113).

وفي الحديث توجيه من النبي –صلى الله عليه وسلم– وحرص منه أن يصل الإنسان إلى المعرفة من خلال دليل العقل، ودليل الحس، وأن مجرد الشك والظن مع وجود ظاهر يقوي الظن لا يكفي للاعتماد عليه، فاليقين لا يزول بالشك، واليقين لا يزول إلا بيقين مثله.

قال الشيخ الطاهر ابن عاشور(ت 1393هـ): "فقد استنزل النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا السائل إلى معرفة الحقيقة بالتمثيل المقنع بمقدمات مسلمة حتى أدرك غلطه وعلم الحق" (114).

وقد أبطل النبي –صلى الله عليه وسلم– الكهانة التي يتخرص فيها الكاهن ويخبر عن غيوب من غير سبب موضوع للعلم، إن هم إلا يخرصون.

وقال شيخ الإسلام: "والعلم ينال بالحس والعقل وما يحصل بهما، وبوحي الله إلى أنبيائه الذي هو خارج عما يشترك فيه الناس من الحس والعقل. ولهذا قيل: الطرق العلمية؛ البصر، والنظر، والخبر. الحس، والعقل، والوحي. الحس، والقياس، والنبوة".(115).

2. والسُّنّة كالقرآن في الفصل بين وجودين: الغيب والشهادة، لكل منهما مجاله الخاص في اكتساب المعرفة المتعلقة به، فإذا تعلق الأمر بالوجود الغيبي حيث لا يمكن أن يصل إدراك الإنسان، أحال القرآن والسُّنة على الوحي كمصدر وحيد يستمد منه الإنسان معارفه على جهة الإخبار، فيقطع الطريق على كل المدعين من الكهنة والسحرة والعرافين، بينما فيما يتعلق بالوجود المشاهد يحيل على الواقع ويدعو الإنسان إلى استعمال قدراته العقلية والحسية.

قال الطاهر ابن عاشور(ت 1393هـ): "أما ما لا يدخل تحت سلطان الإدراك البشري، وهو ما كان راجعًا إلى عالم الغيب، أي العوالم التي تجاوزت نظام عالم المادة وهي العوالم المرتبة نظامها على غير النظام الذي جعل عالم هذه الحياة، فما أعرض الشارع عن بيانه في هذا النوع يجب أن نقتدي به، كما علمنا الله –تعالى– بقوله: سمحوَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي سجى سجحالإِسۡرَاء : تمجمحسحج وما أعطاه الشارع حظا من بيان لحقيقته يجب أن نتلقاها على قدر ما بينها الشارع دون زيادة، ولا يعد تلقينا إياها وتصديقنا بها، متابعة للوهم، إذ ليس للعقل في هذا النوع حكم حتى يجزم بأنها وهم، لما علمت من أن الوهم لا يبين صادقه من باطله إلا العقل، وعلى هذا المنهاج صار الصحابة، فكانوا يقتصرون في ذلك على مقدار ما بلغهم ... فإذا سمعنا ما رواه مالك وكتب الصحيح عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَالٌ لَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ

(112) البخاري في صحيحه، رقم الحديث(7356)، ومسلم في صحيحه رقم الحديث(987).
(113) البخاري في صحيحه، رقم (7314)، ومسلم في صحيحه(1500)، وأبو داود في سننه(2260)، والنسائي في سننه(3478).
(114) ابن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص 34.
(115) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (3 / 8)، ويُنظر: درء تعارض العقل والنقل، (178/1).

لَهُ زَبِيبَتَانِ يَطْلُبُهُ حَتَّى يُمْكِنَهُ فيطوقه يَقُولُ أَنَا مالك، أنا كَنْزُكَ"[116]. صح لنا أن نعتقده كما هو، لأن ذلك من تصرفات عالم تخالف حقائقه حقائق عالمنا هذا... ونلحق بهذا القسم أشياء اشتملت عليها الشريعة من غير عالم الغيب لم نهتد إلى حقيقتها فنحن نتلقاها كما جاءت موقنين باشتمالها على مصالح لم تتضح لنا، جاعلين يقيننا بذلك مستنتجًا من استقراء جمهرة الأحكام في سائر الأحوال، إذ نجد تلك الأحكام حقائق بينه ومصالح واضحة، ولا يعد يقيننا ذلك وهما، بل تفويضا".[117]

ومما يدل على هذا التفريق بين عالم الغيب وعالم الشهادة، في أن لكل منهما مجاله الخاص وطبيعته الخاصة في اكتساب المعرفة المتعلقة به؛ ما جاء في حديث تأبير النخل.

– حديث طَلْحَةَ بن عبيد الله قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ" مَا يَصْنَعُ هَؤُلاَءِ". فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الأُنْثَى فَيَلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: "مَا أَظُنُّ يُغْنِى ذَلِكَ شَيْئًا". قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– بِذَلِكَ فَقَالَ: "إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلاَ تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[118].

– وعَنْ عَائِشَةَ وَأَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ: "لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ". قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: "مَا لِنَخْلِكُمْ" قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: "أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ" [119].

فجعل لهم النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما يتعلق بالدنيا وما يدخل تحت سلطان الإدراك البشري أن يرجعوا إلى علمهم فيها وما أثبتته تجاربهم، وكان القوم أصحاب زرع، لهم في ذلك معارف حقيقية، صدقتها التجارب الطويلة، وأن الظن لا يكون مصدرًا من مصادر المعرفة لا في عالم الغيب ولا في عالم الشهادة، لأنه مجرد رأي لم تحققه التجارب، فالظن ليس معرفة حتى ولو كان من النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وأما ما لا يدخل تحت سلطان الإدراك البشري فالواجب عليهم أن يتلقوه من الوحي الذي يتنزل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فهو المحدث لهم في ذلك عن الله –تعالى–، وهو معصوم فيما يبلغه عن ربه –سبحانه وتعالى–

3. المنهج المعرفي الذي تؤسسه السُّنّة يقتضي أن يتثبت الإنسان من صحة معارفه، فلا يعتقد إلا ما قام الدليل على صحته، حتى يسلم من الوهم والقول بالظن، والسُّنّة كالقرآن يجعل التثبت من القول والخبر والحدث أساسًا لبناء معرفة يقينية، ولذلك نجده يرد كثيرًا من الآراء التي شاعت عند طوائف من الأمم على تعاقبها؛ لأنها لم تكن قائمة على برهان، ولم تثبت صحتها، وإذا كان القرآن قد نقض دعاوى المشركين لأنها لم تكن مؤسسة على حجة وبرهان، فقد ألزم المؤمنين برسالته بالتثبت والتوثيق، قال تعالى:سمح يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ سجى سجحالحُجُرَات : تمحسحج[120].

– عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: "إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ"[121].

قال الحميدي (ت 488هـ): "قيل وقال" هو النهي عن القول بما لا يصح، وما لا تعلم حقيقته، وأن يقول المرء في حديثه مثل كذا، وقال قائل كذا، وهو نحو الحديث الاخر الذي فيه "بئس مطية الرجل زعموا"[122]. وقال ابن الجوزي (ت 597هـ): "المراد به حِكَايةُ أقوالٍ لا صِحَّةَ لَها" [123].

---

[116] البخاري في صحيحه رقم الحديث (1403).
[117] ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص 42.
[118] أحمد في مسنده (162/1)، ومسلم في صحيحه رقم الحديث (2361).
[119] مسلم في صحيحه رقم الحديث (2363).
[120] ينظر: محمد أمزيان، "أصول المنهج المعرفي في القرآن والسنة" محمد أمزيان، مجلة المسلم المعاصر، عدد 87، ص 114.
[121] البخاري في صحيحه، رقم الحديث (6473)، ومسلم في صحيحه (593).
[122] الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين ص 420.
[123] ابن الجوزي، غريب الحديث (2 / 271).

- وفي حديث أبي مسعود سَمِعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "بِئسَ مَطِيَّةُ الرَّجل: زَعَمُوا"[124].

قال الحميدي (ت 488هـ): "وهو التحدث بما لا يصح وشغل الزمان بحكاية ما لا يعلم صدقه"[125].

قال الخطابي (ت 388هـ): "أصل هذا أن الرجل إذا أراد الظعن في حاجة والسير إلى بلد ركب مطيَّة وسار حتى يبلغ حاجته، فشبه النبي ما يقدمه الرجل أمامه كلامه ويتوصل به إلى حاجته من قولهم زعموا بالمطية، وإنما يقال زعموا في حديث بلا سند له ولا ثبت فيه، وإنما هو شيء يُحكى عن الألسن على سبيل البلاغ، فذم النبي -صلى الله عليه وسلم- من الحديث ما هذا سبيله، وأمر بالتثبت فيه والتوثق لما يحكيه من ذلك"[126].

قال البغوي (ت 510هـ): " أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالتثبت فيما يحكيه، والاحتياط فيما يرويه، فلا يروي حديثًا حتى يكون مرويا عن ثقة، فقد روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: " كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع" وقال: -صلى الله عليه وسلم-: "من حدث بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين"[127].

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"[128].

قال القرطبي في المفهم (ت 656هـ): "ومعناه أنَّ مَنْ حدَّث بكلِّ ما سمع حصَلَ له الحظُّ الكافي من الكذب؛ فإنَّ الإنسان يسمعُ الغَثَّ والسمين، والصحيح والسقيم، فإذا حدَّث بكل ذلك حدَّثَ بالسقيم وبالكذب، ثم تُحَمِّلَ عنه، فيَكْذِبُ في نفسه أو يُكَذَّبُ بسببه. ولهذا أشار مالك رحمه الله بقوله: لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَلاَ يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا. أي إذا وُجِدَ الكَذِبُ في روايته لم يوثَقْ بحديثه، وكان ذلك جَرْحَةً فيه، فلا يصلحُ ليقتديَ به أحدٌ ولو كان عالمًا، فلو بيَّن الصحيحَ من السقيم والصادقَ من الكاذب، سَلِمَ من ذلك، وتقصَّى عن عُهْدَةِ ما يجبُ عليه من النصيحة الدينيَّة" [129].

4. ومن معالم المنهج المعرفي في القرآن والسُّنَّة، تحريم أن يقول الإنسان بالظن فيما غاب عنه علمه، من غيبيات وبواطن يتعذر أن يصل إلى علمها، ولا يبن على تلك الظنون التي ظنها، ولا يتبع ظن الظانين فيها، ويتبع الإنسان ما ظهر له من العلم ويبني ليه، قال الله -تعالى-: سمح وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ٣٦سجى سجحالإِسْرَاء : تمحتحمسحج، وهذه هي أهم وسائل اكتساب المعرفة، والإنسان قادر على التثبت من صحة معارفه، حتى يقول من حيث يعلم، ويترك ما لا يعلم، وخاصة في قضايا الفكر والعقيدة، ولا عذر له في ترك ذلك، ولا عذر له في التقليد الأعمى، قال الله -تعالى-: سمح وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩سجى سجحالأَعْرَاف : جمحتمختحجسحج

- عن أبي هريرة، أن رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إيَّاكم والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحديث"[130].

تكثر عند الناس التعليلات الظنية لكثير من الحوادث، ويكثر القول بالظن في تصور كثير من القضايا، ومثل هذه الظنون تكون مصدرًا من مصادر الأوهام والخرافات، التي ربما تنتشر بين الناس لما في الإنسان من قابلية لتقبل الأوهام، وربما تصبح من العادات المتجذرة في الناس، فيحذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من الظن لأنه لم يبن على علم ومعرفة وبرهان صحيح، فضلًا

---

[124] أحمد في مسنده (119/4) والبخاري في الأدب المفرد ص 265، وأبو داود في سننه (4972)، وابن أبي شيبة في مصنفه (13/ 209) من طريق الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي مسعود الأنصاري. قال النووي في الأذكار ص379: إسناده صحيح، وقال ابن حجر في الفتح (551/10): رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعًا.

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ص 265، من طريق عمرو بن يونس اليمامي عن يحيى بن عبد العزيز عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي المهلب أن عبد الله بن عامر قال يا أبا مسعود

قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص 244: رجاله موثقون، فثبت اتصاله.

[125] الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين، ص421.

[126] الخطابي، معالم السنن (130/4)

[127] البغوي، شرح السنة (362/12).

[128] البخاري في صحيحه رقم الحديث (5)، وأبو داود في سننه(4992).

[129] أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (117/1).

[130] البخاري في صحيحه رقم الحديث (6066)، ومسلم في صحيحه (2563)، وأبو داود في سننه (4917)، والترمذي في جامعه (1988).

عما تحدثه الانفعالات النفسية والفكرية من تخيلات باطلة في تكوين ظن الظان، وذلك لا يغني من الحق شيئًا، لأنه غير مستند إلى برهان، "وإنما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم" [131].قال ابن عبد البر (ت 463هـ): "وقد أجمع العلماء أن ما لم يتبين ويستيقن فليس بعلم، وإنما هو ظن، والظن لا يغني من الحق شيئًا"[132].

5. ومن معالم المنهج المعرفي الذي تؤسس له السُّنَّة مع القرآن، ترسيخ منهج التمسك بالبرهان والحجة والدليل، لبناء طريقة التفكير العقلية العلمية البرهانية، لإبطال التفكير البدائي الخرافي الذي يتعلق بالظنون والأوهام والخيالات. فكل قضية لا تحتكم إلى دليل، ولا تستند إلى برهان، فهي مخالفة لهذا المنهج.

قال ابن عاشور (ت 1393هـ): "وإصلاح التفكير من أهم ما قصدته الشريعة الإسلامية في إقامة نظام الاجتماع من طريق صلاح الأفراد، وبهذا نفهم وجه اهتمام القرآن باستدعاء العقول للنظر والتذكر والتعقل والعلم والاعتبار، وأن ذلك جرى على هذا المقصد، فأنبأنا عن استقراء اهتمامه والإفصاح عنه بكلام رسوله"[133].

– عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلاَثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا –صلى الله عليه وسلم– رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَنْظِرِينِى وَلاَ تَعْجَلِينِى، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: سمح وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِسجى سمح وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ سجى، فَقَالَتْ أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ: "إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ". فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: سمح لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ سجى أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: سمح وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ سجى[134].

وعائشة – رضي الله عنها– ترى أن دلالة القرآن اليقينية لا تعارض بالظن، وأن ما يُستشكل معناه يُرد إلى المحكم البين، وأن من يأتي بالدليل والبرهان تقوى حجته، وهي –رضي الله عنها– كانت تقتبس الدليل على قولها وتأويلها للقرآن إما من كتاب الله –تعالى–، أو من النبي –صلى الله عليه وسلم– مباشرة، فذلك أثبت في نفسها مما يُنقل إليها وخاصة عند التعارض، ولذلك قال الزركشي (ت 794هـ): "وهذا قاطع في هذه المسألة؛ إذ صرحت فيه بالرفع"[135].

6. ويقوم المنهج الذي تؤسسه السُّنّة على إقصاء الخرافة والتعليل الخرافي، القائم على ربط حادثتين ربطًا اعتباطيًّا بدائيًا... وكان العرب يربطون بين وجهة طيران الطائر ونجاح العمل أو إخفاقه، وكانت الوثنية حيثما كانت مباءة للخرافة ومرتعًا للأساطير، وقد جاء الإسلام ليحارب الوثنية ويخرج الكون من رتبة التأليه حين عبد الإنسان الشمس والقمر. إن تحرير الإنسان من الوثنية التي تكرس الخرافة والأسطورة يعني إعادة الاعتبار للفكر العلمي الذي يفسر الظواهر بعللها كما هي مستجدة في عالم الواقع، وتلك سمة من سمات الكمال في هذا المنهج[136].

"وقد تصدى المصطفى لكل ما يأسر العقل، ويغيب الوعي، ويشيع الأوهام، ويبث الأراجيف والأباطيل. "فالسنة تعمل على محاربة العقلية الخرافية التي غالبًا تُصدِّق كل ما يقال لها، وتقبل كل ما يلقى إليها، فتنقاد لما عليه جمهور الناس صوابًا كان أو خطأ"[137].

---

[131] الزمخشري، الكشاف، (5 / 644).
[132] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (2 / 236).
[133] ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص 48.
[134] البخاري في صحيحه، رقم الحديث (4885)، ومسلم في صحيحه رقم الحديث (177).
[135] الزركشي، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ص84.
[136] ينظر: محمد أمزيان، مقال "أصول المنهج المعرفي في القرآن والسنة" في مجلة المسلم المعاصر، عدد 87، ص 98.
[137] محمد صفاء جاسم، السنة النبوية وأثرها في بناء المنهج التفصيلي للحياة الإسلامية.

7. ولا تزال السُّنة تُؤسس وتُوصل لتشريع الاعتبار بحقائق الأشياء ومعانيها، وأن مواهي الأمور لا تتغير بما يلصق بها من الأقوال المنافية للحقائق، وأن تلك الملصقات بالحقائق هي التي تحجب العقول عن تفهم الحقائق.

فتُؤسس لحقائق المعتقدات لأجل إقامة الشريعة على العقائد الصحيحة، ونبذ الحقائق المصنوعة المخالفة للواقع لأن إصلاح التفكير هو مفتاح إصلاح العمل، وتؤسس لحقائق الأعمال، لتقوم الشريعة على اعتبار مواهي الأعمال بما هي ثابتة عليه في نفس الأمر إلا بالتوهم والادعاء[138].

ونجد ذلك في كل ما أبطلته الشريعة مما ألصق بالحقائق وهو منافٍ لها، كإبطال النسيء، وإبطال الطيرة، وإبطال ما كانوا يعتقدونه في صفر، وإبطال التبني وإبطال الظهار، وغير ذلك.

8. والهدي النبوي يقتضي سرعة معالجة الأوهام والخرافات إذا ظهرت؛ حتى لا يستمر تناقل الناس لتلك الأوهام والأباطيل، بما يضخمها ويعمقها، فإذا كان الناس بطابع الإلف ولدوافع نفسية يتقبلون الأوهام، فإن السُّنّة تؤسِّس لمنهج يقطع الطريق على إنشاء الأوهام والخرافات، فإذا نشأت بسبب من جهل فسنة النبي –صلى الله عليه وسلم– تقتضي سرعة المعالجة، وسيأتي في حديث الكسوف أن النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما سمعهم يقولون: كسفت الشمس لموت إبراهيم، صعد المنبر وأبطل هذا الوهم الذي كان يتوهمه الناس.

9. والسُّنَّة في ظاهرها تعالج قضايا وقتها وزمانها بما يتوافق مع رسالة القرآن، وفي جوهرها ترسم منهجًا معرفيًا تتجاوز به زمانها ومكانها في تطبيق رسالة القرآن، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يبني بسنته منهجًا في كيفية التعامل مع القرآن الكريم، وتطبيق رسالة القرآن، وهذا من مقاصد سنته –صلى الله عليه وسلم–. وإن الأوهام والخرافات ستجد طريقها إلى حياة الناس في كل زمن بما يتلاءم مع طبيعته وزمانه، وهدي النبي –صلى الله عليه وسلم– يُوجب السعي الحثيث لإبطال الأوهام والخرافات والترهات والتصورات الخاطئة، والقيام بعملية إصلاح التفكير، وتنقية المعارف.

10. لقد اشتمل هدي النبي –صلى الله عليه وسلم– على إنقاذ الناس مما في الجاهلية من ضلال فكري وعقدي وسلوكي ومنهجي، مع المحافظة والثناء والحث على ما توارثه الناس من فضيلة ونبل ومروءة وقيم تتوافق مع رسالة الإسلام ومقاصده، وحقق –صلى الله عليه وسلم– غاية النجاح في ذلك، وكان منهجه في ذلك يقوم على التخلية والتحلية، التخلي من الشرك والكفر، والتحلي بالإيمان والعقل، التخلي من الجهل، والتحلي بالعلم، التخلي من الوهم والخرافة والتحلي بالمعرفة والحقائق، فهو بذلك يبني أعظم بناء وأتقنه وأقومه.

– **عن ابن عباس أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة؛ ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه"**[139].

قال الحافظ ابن حجر (ت 852هـ): "قوله "ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية" أي يكون له الحق عند شخص فيطلبه من غيره ممن لا يكون له فيه مشاركة كوالده أو ولده أو قريبه، وقيل المراد من يريد بقاء سيرة الجاهلية أو إشاعتها أو تنفيذها، وسنة الجاهلية اسم جنس يعم جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره والحليف بحليفه ونحو ذلك، ويلتحق بذلك ما كانوا يعتقدونه والمراد منه ما جاء الإسلام بتركه كالطيرة والكهانة وغير ذلك"[140].

قال المُناوي (ت 1031هـ): "مبتغ في الإسلام" أي في دينه "سنة الجاهلية" أي إحياء طريقة أهل زمن الفترة، سمي به لكثرة الجهالة فيه، كقتل البنات والطيرة والكهانة والنياحة والميسر والنيروز ومنع القود عن مستحقه وطلب الحق ممن ليس عليه كأصله وفرعه، فإطلاق السنة على فعل الجاهلية ورد على أصل اللغة أو للتهكم"[141].

---

[138] يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (21 / 254).
[139] البخاري في صحيحه، رقم الحديث (6882).
[140] ابن حجر، فتح الباري (12 / 211).
[141] المناوي، فيض القدير (1 / 108).

الخاتمة

بعد هذه الدراسة التي قصد الباحث منها أن يقف على جملة من الأوهام التي أبطلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يستظهر الهدي النبوي في بناء المعرفة وإصلاح التفكير وإبطال الأوهام والخرافات، يخلص الباحث إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولا– النتائج:

1– كانت الطيرة وما جاء في حديث " لا عدوى ولا طيرة..." من الأوهام القوية المتمكنة من فكر الناس في الجاهلية، ويدل على ذلك تعدد الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في إبطالها، والنبي صلى الله عليه وسلم يبطل الأوهام والخرافات مهما كانت متجذرة في فكر الناس، وذلك تحقيق لرسالة القرآن ودعوته.

2– إن تحرير التفكير من سلطان الوهم والخرافة، ومن طريقة التفكير البدائية، لهو من مقاصد الشرع في حفظ الدين والعقل، فكما تُنكر فاحشة الزنا لمقصد حفظ الدين والنسب، كذلك تُنكر الأوهام والخرافات لمقصد حفظ الدين وحفظ العقل وتسديده.

3– الأحاديث الواردة في إبطال الأوهام والخرافات، هي أول تطبيق عملي لمنهج القرآن الكريم، في التربية العلمية العقلية البرهانية.

4– تؤسس السُّنّة أن يبني الإنسان عقيدته وفكره على الدليل والبرهان، وأن يتثبت الإنسان من صحة معارفه، فلا يعتقد إلا ما قام الدليل على صحته؛ حتى يسلم من الوهم والقول بالظن.

5– الإسلام كله حقائق لا أوهام فيه، وليس من منهجه صناعة الأوهام كما قد يتصور بعض الباحثين الماديين؛ وذلك لأن هؤلاء يستبعدون أن يكون الوحي من مصادر المعرفة.

ثانيا – التوصيات:

1– يوصي الباحث بالاهتمام بمقاصد السُّنَّة النبوية ومعانيها، وما تؤسس له من مناهج في التربية العلمية والعقلية.

2– يوصي الباحث باستقراء المنهج النبوي في كل الجوانب المعرفية والسلوكية والحياتية والتعبدية. فمن خلالها يقف مع المسلم مع مقاصد السنة ومعانيها، ولا يقف عند حرفيتها.

3– أن تهتم وزارة الأوقاف بحث الخطباء على تتبع هدي النبي –صلى الله عليه وسلم– في إصلاح التفكير، وإبطال الأوهام والخرافات، لما في ذلك من تمتين لعقيدة الإسلام، وصيانتها مما يخدشها، وأن يكون لهم دورهم الريادي في معالجة ما يحدث من أوهام وخرافات.

4– أن يكون المنهج النبوي في التربية والتعليم من المناهج التي تُدَّرس في كليات التربية بتوسع واستفاضة في مساقات متعددة، لمحاولة الوصول إلى نظريات في التربية من خلال دراسة السُّنة النبوية.

المراجع:

أولاً: قائمة المراجع العربية:

القرآن الكريم

الأزهري، أبو منصور، 1964م، *تهذيب اللغة*، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية.

الإسلامبولي، إسماعيل حقي، *روح البيان في تفسير القرآن*، دار إحياء التراث العربي.

الأصفهاني، الراغب، 1992م، *مفردات ألفاظ القرآن*، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، والدار الشامية، ط1.

أمزيان، محمد، *أصول المنهج المعرفي في القرآن والسنة*، مجلة المسلم المعاصر، عدد 87، فبراير 1998، السنة 22.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن أبي الحسين، 1997م، *كشف المشكل من حديث الصحيحين*، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ط1.

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق،1980م، *صحيح ابن خزيمة*، تحقيق: محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي.

ابن عاشور، محمد الطاهر 2005، *أصول النظام الاجتماعي في الإسلام*، دار السلام، ط1.

ابن عاشور، محمد الطاهر، 1356هـ، *لا صفر*، مجلة الزيتونة، المجلد الأول، الجزء الثامن، المطبعة التونسية.

ابن عاشور، محمد الطاهر، 1984م، *التحرير والتنوير*، الدار التونسية، تونس.

ابن فارس، أحمد، 1979م، *مقاييس اللغة*، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، 1429هـ، *مفتاح دار السعادة*، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، ط1.

البخاري، محمد بن إسماعيل، 1422هـ، *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه "صحيح البخاري"*، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1.

البستي، محمد بن حبان 1993م، *صحيح ابن حبان*، بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة.

البغدادي، الخطيب، 1999م، *القول في علم النجوم*، تحقيق د. يوسف السعيد، دار طلس، ط.

البغوي، الحسين بن مسعود، 1983م، *شرح السنة*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، ط2.

بلكا، إلياس، 2003م، *النظرية الإسلامية في الكهانة*، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1.

البيهقي، أحمد بن الحسين2003م، *الجامع لشعب الإيمان*، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، ط1.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، 1998م، *سنن الترمذي " الجامع الكبير"* تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط2.

التوحيدي، أبو حيان 1988م، *البصائر والذخائر*، تحقيق د. وداد القاضي، دار صادر، ط1.

التوحيدي، أبو حيان، *الهوامل والشوامل*، تحقيق أحمد أمين، والسيد أحمد صقر، طبعة الذخائر، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة.

الجاحظ، عمرو بن بحر، 1965م، *الحيوان*، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2.

جاسم، محمد صفاء، السنة النبوية وأثرها في بناء المنهج التفصيلي للحياة الإسلامية، مجلة كلية الآداب العدد 102.

الجزري، ابن الأثير، 1979م، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، شركة التراث.

الحاكم، أبو عبد الله، 1335هـ، *المستدرك على الصحيحين*، بتصحيح أمير الحسن النعماني، دار المعرفة بيروت.

الحراني، أحمد بن تيمية 1999م، *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، ط2، دار العاصمة.

الحميدي، محمد بن أبي نصر،1995م، *تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم*، تحقيق د. زبيدة عبد العزيز، مكتبة السنة بالقاهرة، ط1.

الحنبلي، ابن رجب، 1996م، *لطائف المعارف فيما لموسم العام من الوظائف*، مؤسسة الريان ودار ابن حزم، ط2.

الخطابي، حمد بن سليمان، 1932م، *معالم السنن*، تصحيح محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية بحلب، ط1.

الدهلوي، شاه ولي الله، 2005م، *حجة الله البالغة*، تحقيق سيد سابق، دار الجيل، ط1.

الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1375هـ، *الأنواء في مواسم العرب*، طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند.

رضا، محمد رشيد 1947م، *تفسير القرآن الحكيم، المعروف بتفسير المنار*، دار المنار، ط2.

الزركشي، بدر الدين، 2001م، *الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة*، تحقيق د. رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، ط1.

الزمخشري، جار الله، 1998م، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوَّض، مكتبة العبيكان، ط1.

سبحاني، جعفر، *الإسلام والحرب على الخرافة*، مجلة نصوص معاصرة، مركز الثقلين، السنة 6، العدد 23، 2011م.

السجستاني، أبو داود 2009م، *السنن*، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل، مؤسسة الرسالة، ط1.

الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، *المسند*، الطبعة الميمنية، تصوير مؤسسة قرطبة – القاهرة.

الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، 1415هـ، *شرح مشكل الآثار*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1.

الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، 1994م، *شرح معاني الآثار*، تحقيق: محمد زهري النجار، ومحمد جاد الحق، دار عالم الكتب، ط1.

العسقلاني، علي بن حجر، 1390هـ، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، تصحيح وتحقيق عبد العزيز ابن باز، ومحب الدين الخطيب، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، عن الطبعة السلفية.

غريب الحديث، للإمام الخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، 1402هـ.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، *كتاب العين*، تحقيق : د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

القرطبي، أبو العباس، 1996م، *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*، تحقيق محيي الدين مستو، وغيره، دار ابن كثير، ط1.

القرطبي، يوسف ابن عبد البر 2003م، *جامع بيان العلم وفضله*، تحقيق فواز أحمد زمرلي، ط1، مؤسسة الريان.

القرطبي، يوسف ابن عبد البر 1982م، *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*، تحقيق سعيد أحمد أعراب، وآخرون، الطبعة الثانية، وزارة الأوقاف المغربية.

قطب، سيد، 2003م، *في ظلال القرآن*، مكتبة دار الشروق، ط 32.

القلقشندي، أحمد بن علي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، شرح وتعليق محمد شمس الدين، دار الفكر.

الكفوي، أبو البقاء 1988م، ، *الكليات*، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2.

الماوردي، محمد بن علي بن حبيب، 1317هـ، *أدب الدنيا والدين*، المطبعة الأدبية، 1899م، 1317هـ.

المبرد، محمد بن يزيد، 1997م، *الكامل في اللغة والأدب*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط3.

المعري، أبو العلاء، 1984م، *الصاهل والشاحج*، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، ط2.

المعري، أبو العلاء، *رسالة الغفران*، تحقيق عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، ط11.

المناوي، عبد الرؤوف، 1994م، *فيض القدير*، تصحيح أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ط1.

النسائي، أحمد بن شعيب، 1420هـ، *سنن النسائي " المجتبى من السنن"*، دار المعرفة، بيروت، ط5.

نلينو، السنيور كرلو، 1993م، *علم الفلك، تاريخه عن العرب في القرون الوسطى*، أوراق شرقية بيروت، ط2.

النووي، يحيى بن شرف 1929م، *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، المطبعة المصرية بالأزهر، ط1.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

اليحصبي، القاضي عياض، 1333هـ، *مشارق الأنوار على صحاح الآثار*، ، دار التراث، القاهرة.

اليحصبي، القاضي عياض، 1998م، *إكمال المعلم بفوائد مسلم*، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ط1.

ثانياً: قائمة المراجع الأجنبية والمرومنة:

The Holy Quran

Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman bin Abi al-Hussein, 1997 AD, ***revealing the problem from the hadith of the Two Sahihs***, (In Arabic), investigated by Ali Hussein al-Bawab, Dar al-Watan, Riyadh, 1st edition.

Ibn al-Qayyim al-Jawziyyah, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub, 1429 AH, ***The Key to Dar al-Sa`ada***, investigated by Abd al-Rahman ibn Hassan ibn Qaid, Dar Alam al-Fawa'id, 1st edition.

Ibn Khuzaymah, Muhammad bin Ishaq, 1980 CE, ***Sahih Ibn Khuzaymah***, (In Arabic), investigation: Muhammad al-Azami, The Islamic Bureau.

Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher 2005, ***The Origins of the Social System in Islam***, (In Arabic), Dar Al-Salam, 1st edition.

Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher, 1356 AH, No Zero, ***Al-Zaytouna Magazine***, (In Arabic), Volume One, Part Eight, the Tunisian Press.

Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher, 1984 AD, ***Liberation and Enlightenment***, (In Arabic), Al-Dar Al-Tunisia, Tunisia.

Ibn Fares, Ahmed, 1979 AD, ***Standards of Language***, (In Arabic), edited by Abd al-Salam Haroun, Dar Al-Fikr, 1st Edition.

Al-Azhari, Abu Mansour, 1964 AD, ***Refining the Language***, (In Arabic), investigation by Abdel Salam Haroun, the Egyptian House.

Islambouli, Ismail Hakki, ***The Spirit of Statement in the Interpretation of the Qur'an***, (In Arabic), Dar Revival of Arab Heritage.

Al-Isfahani, Al-Ragheb, 1992 AD, ***Vocabulary of the Qur'an***, (In Arabic), investigated by Safwan Adnan Daoudi, Dar Al-Qalam, and Al-Dar Al-Shamiya, 1st edition.

Amziane, Muhammad, ***The Origins of the Cognitive Approach in the Qur'an and Sunnah***, (In Arabic), Journal of the Contemporary Muslim, No. 87, February 1998, Sunnah 22.

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, 1422 AH, ***Al-Jami Al-Musnad Al-Sahih Abbreviated from the affairs of the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, his Sunnah and his days, "Sahih Al-Bukhari"***, (In Arabic), investigation: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, Dar Touq Al-Najat, 1st edition.

Al-Basti, Muhammad bin Hibban 1993 AD, ***Sahih Ibn Hibban***, (In Arabic), arranged by Ibn Balban, investigation by Shuaib Al-Arnaout, 2nd Edition, Al-Risala Foundation.

Al-Baghdadi, Al-Khatib, 1999 AD, ***Saying in the Science of the Stars***, (In Arabic), investigated by Dr. Youssef Al-Saeed, Dar Talas, p.

Al-Baghawi, Al-Hussein Bin Masoud, 1983 AD, ***Explanation of the Sunnah***, (In Arabic), investigation: Shuaib Al-Arnout, The Islamic Office, 2nd edition.

Balka, Elias, 2003 AD, ***The Islamic Theory in Fortune-telling***, (In Arabic), Al-Resala Foundation Publishers, 1st edition.

Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein 2003 AD, ***The Mosque for the People of Faith***, (In Arabic), investigation: Dr. Abd al-Ali Abd al-Hamid Hamid, Al-Rushd Bookshop, 1st edition.

Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa bin Surah, 1998 AD, ***Sunan Al-Tirmidhi "The Great Mosque",*** (In Arabic), investigation: Bashar Maarouf, Dar Al-Gharb Al-Islami, 2nd edition.

Al-Tawhidi, Abu Hayyan 1988 AD, ***insights and ammunition***, (In Arabic), investigation by Dr. Widad Al-Qadi, Dar Sader, 1st edition.

Al-Tawhidi, Abu Hayyan, ***Al-Hawamel and Al-Shawamel***, (In Arabic), investigated by Ahmed Amin, and Al-Sayed Ahmed Saqr, ammunition edition, published by the General Authority for Cultural Palaces.

Al-Jahiz, Amr bin Bahr, 1965 AD, ***Animal***, (In Arabic), investigation by Abdul Salam Haroun, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library, 2nd edition.

Jassem, Muhammad Safaa, ***The Sunnah of the Prophet and its Impact on Building the Detailed Approach to Islamic Life,*** (In Arabic), Journal of the College of Arts, Issue 102.

Al-Jazari, Ibn Al-Atheer, 1979 AD, ***The End in Gharib Hadith and Athar,*** (In Arabic), investigation: Taher Al-Zawi, and Mahmoud Al-Tanahi, Al-Turath Company.

Al-Hakim, Abu Abdullah, 1335 AH, ***Al-Mustadrak on the Two Sahihs***, (In Arabic), corrected by Amir Al-Hassan Al-Nu'mani, Dar Al-Ma'rifah, Beirut.

Al-Harani, Ahmed bin Taymiyyah 1999 AD, ***The correct answer for those who changed the religion of Christ***, (In Arabic), investigation: Ali bin Hassan bin Nasser and others, 2nd edition, Dar Al-Asima.

Al-Hamidi, Muhammad bin Abi Nasr, 1995 AD, ***a strange interpretation of what is in the two Sahihs of Bukhari and Muslim***, (In Arabic), investigation by Dr. Zubaida Abdel Aziz, Al-Sunnah Library in Cairo, 1st Edition.

Al-Hanbali, Ibn Rajab, 1996 AD, ***Lata'if al-Ma'arif regarding the year's season of jobs***, (In Arabic), Al-Rayyan Foundation and Dar Ibn Hazm, 2nd edition.

Al-Khattabi, Hamad bin Suleiman, 1932 AD, ***Milestones of the Sunnah***, (In Arabic), corrected by Muhammad Ragheb Al-Tabbakh, Al-Mubtaba' Al-Alamiyyah in Aleppo, 1st edition.

Al-Dahlawi, Shah Waliullah, 2005 AD, ***Hujjat Allah Al-Balghat***, (In Arabic), investigation by Sayed Sabeq, Dar Al-Jeel, 1st Edition.

Al-Dinori, Abdullah bin Muslim bin Qutayba, 1375 AH, ***Al-Anwa fi Seasons of the Arabs***, (In Arabic), edition of the Ottoman Encyclopedia in India.

Reda, Muhammad Rashid 1947 AD, ***Interpretation of the Holy Qur'an, known as the interpretation of Al-Manar***, (In Arabic), Dar Al-Manar, 2nd edition.

Al-Zarkashi, Badr Al-Din, 2001 A.D., ***the answer to what Aisha reasoned about the Companions***, (In Arabic), investigation by Dr. Refaat Fawzi Abdel-Muttalib, Al-Khanji Bookshop, 1st Edition.

Al-Zamakhshari, Jarallah, 1998 AD, ***The Scout for the Realities of the Mysteries of Downloading and the Eyes of Sayings in the Faces of Interpretation,*** (In Arabic), investigated by Adel Abdel-Mawgoud, and Ali Moawad, Obeikan Library, 1st edition.

Subhani, Jaafar, ***Islam and the War on Superstition***, (In Arabic), Contemporary Texts Magazine, Center of the Two Weights, Sunnah 6, Issue 23, 2011 AD.

Al-Sijistani, Abu Dawud 2009 AD, ***Al-Sunan***, (In Arabic), investigated by Shuaib Al-Arnaout and Muhammad Kamel, Al-Risala Foundation, 1st edition.

Al-Shaibani, Ahmed bin Muhammad bin Hanbal, ***Al-Musnad***, (In Arabic), Al-Maimani Edition, Photo by the Cordoba Foundation - Cairo.

Al-Tahawy, Ahmed bin Muhammad bin Salama, 1415 AH, ***Explanation of the problem of archeology***, (In Arabic), investigation: Shuaib Al-Arnaout, Al-Risala Foundation, 1st edition.

Al-Tahawy, Ahmed bin Muhammad bin Salama, 1994 AD, ***Explanation of the Meanings of Athar***, (In Arabic), investigation: Muhammad Zuhri al-Najjar, and Muhammad Jad al-Haq, Dar Alam al-Kutub, 1st edition.

Al-Asqalani, Ali bin Hajar, 1390 AH, ***Fath Al-Bari with an explanation of Sahih Al-Bukhari***, (In Arabic), corrected and verified by Abdul Aziz Ibn Baz, and Moheb Al-Din Al-Khatib, published by the Presidency of the Departments of Scholarly Research and Ifta, Saudi Arabia, on the Salafi Edition.

Imam Al-Khattabi, 1402 AH, ***Ghareeb Al-Hadith,*** (In Arabic), investigation: Abdul Karim Ibrahim Al-Azbawi, Umm Al-Qura University - Makkah Al-Mukarramah.

Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed, ***The Book of Al-Ain***, (In Arabic), investigation: d. Mehdi Makhzoumi and d. Ibrahim Al-Samarrai, Al-Hilal Library and House.

Al-Qurtubi, Abu Al-Abbas, 1996 AD, ***Al-Mufhim for what was formed from the summary of Muslim's book***, (In Arabic), investigated by Muhyiddin Mesto, and others, Dar Ibn Katheer, 1st edition.

Al-Qurtubi, Yusuf Ibn Abd al-Barr 2003 AD, ***The Collector of the Statement of Knowledge and its Virtues***, (In Arabic), investigation by Fawaz Ahmed Zumrli, 1st Edition, Al-Rayyan Foundation.

Al-Qurtubi, Yusuf Ibn Abd al-Barr 1982 AD, ***Preface to the meanings and chains of transmission in Al-Muwatta'***, (In Arabic), investigation by Saeed Ahmed Arab, and others, second edition, Moroccan Ministry of Endowments.

Qutb, Sayed, 2003 AD, ***In the Shadows of the Qur'an***, (In Arabic), Dar Al-Shorouk Library, 32nd edition.

Al-Qalqashandi, Ahmed bin Ali***, Sobh Al-Asha in the creation industry***, (In Arabic), explained and commented by Muhammad Shams Al-Din, Dar Al-Fikr.

Al-Kafawi, Abu Al-Baqaa 1988 AD, ***Colleges***, (In Arabic), investigation: Adnan Darwish and Muhammad Al-Masry, Al-Risala Foundation, 2nd edition.

Al-Mawardi, Muhammad bin Ali bin Habib, 1317 AH, ***Literature of the World and Religion***, (In Arabic), the Literary Press, 1899 AD, 1317 AH.

Al-Mubarrad, Muhammad bin Yazid, 1997 AD, ***Al-Kamil in Language and Literature***, (In Arabic), investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 3rd edition.

Al-Maari, Abu Al-Alaa, 1984 AD, ***Al-Sahel and Al-Shahej***, (In Arabic), investigation by Dr. Aisha Abdel-Rahman, Dar Al-Maarif, 2nd Edition.

Al-Maari, Abu Al-Ala, ***The Message of Forgiveness***, (In Arabic), investigation by Aisha Bint Al-Shati, Dar Al-Maarif, 11th Edition.

Al-Manawi, Abdel-Raouf, 1994 AD, ***Fayd Al-Qadeer,*** (In Arabic), corrected by Ahmed Abdel-Salam, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1st Edition.

Al-Nasa'i, Ahmad ibn Shuaib, 1420 AH, ***Sunan al-Nasa'i, "Al-Mujtaba from the Sunnah"***, (In Arabic), Dar Al-Ma'rifah, Beirut, 5th edition.

Nelino, Signor Carlo, 1993 AD, Astronomy, ***His History of the Arabs in the Middle Ages***, (In Arabic), Oriental Papers Beirut, 2nd edition.

Al-Nawawi, Yahya bin Sharaf 1929 AD, ***Al-Minhaj Explanation of Sahih Muslim bin Al-Hajjaj***, (In Arabic), The Egyptian Press in Al-Azhar, 1st edition.

Al-Nisaburi, Muslim bin Al-Hajjaj, ***Sahih Muslim,*** (In Arabic), investigation and numbering: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Dar Revival of Arabic Books.

Al-Yahsabi, Judge Ayyad, 1333 AH, ***Mashariq al-Anwar 'ala Sihah al-Athar***, (In Arabic), Dar al-Turath, Cairo.

Al-Yahsabi, Judge Ayyad, 1998, ***Completing the Teacher with Benefits of Muslim***, (In Arabic), investigation by Dr. Yahya Ismail, Dar Al-Wafaa, 1st edition.